أخلاق اليهود
في ضوء القرآن والسنة والتاريخ

تأليف
الدكتور : أحمد خضر حسنين الحسن

إهداء وتذكير

أهدي هذا الكتاب :
إلى جميع من امتلأت قلوبهم بالإيمان.
إلى الذين وثقوا بوعد الرحمن .
إلى القائلين بالصدق .
إلى الثابتين على الحق .
من شباب ورجال ونساء أمتنا التي أعزها الله بالإيمان .

تذكير :
اليهود هم أخطر أعداء الأمة منذ ظهور الإسلام وإلى هذه الأيام .
لكي تتذكر ذلك الأجيال الحاضرة .
ولكي لا تنساه الأجيال القادمة.
ولكي تنكشف الحقائق ويعرف الحق من الباطل .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والشكر له شكرا استجلب به المزيد من نعمه وإحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، طمعاً في بلوغ مغفرته ورحمته رضوانه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الداعى الى جنته ورضوانه ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه .

وبعد : فإن أقرب طريق للانتصار على العدو هو أن تعرف قدراته ونقاط ضعفه كما تعرف أسباب قوته ، ولذا أخبرنا الله تعالى بما كان عليه اليهود من كفر بالله تعالى ورسله - عليهم السلام – بل هم قتلة الأنبياء والرسل أشد أهل الأرض عنادا وطغياناً واستكبارا أسوأ البشرية أخلاقاً وأعظمهم استخفافاً بغيرهم من البشر ، وغير ذلك من صفات الخزي والعار.

فاليهود لم يكتفوا بالكفر بالله حتى ألصقوا به التهم ووصفوه بكل قبيح وإن شئت فاقرأ قوله تعالى : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) سورة آل عمران (181)

وقوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) سورة المائدة (64) وغير ذلك .

كما أنهم لم يكتفو بالكفر بالأنبياء حتى قتلوهم، وإن شئت فاقرأ قوله تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) سورة النساء (155-156)

مما ورد في الآيتين أعلاه يتبين أنهم قتلوا الأنبياء ولم تتوقف تآمرات يهود التي شهدتها الأزمان المتعددة، والأماكن المختلفة، فمحاولاتهم القتل وسفك الدماء تعدت كل ذلك لتصل إلى خير البشر نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو بين ظهراني قومه وصحابته الأجلاء بالمدينة، رغم تمام علم يهود بأنه نبي من عند الله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [البقرة: 146]، تلك المحاولات استمرت حتى نالت بالفعل منه بأبي هو وأمه، حتى إنه مات متأثرًا بإحدى تآمرات يهود.

فبعد فتح خيبر أبقى النبي -صلى الله عليه وسلم- بعض اليهود فيها على أن يتولوا رعاية بساتينها على نصف الغلة، إلا أن امرأة أحد زعماء اليهود أهدت للنبي -صلى الله عليه وسلم- شاة مشوية، دسَّت فيها السم، فلاك منها شيئًا فاستكرهها، وقال: "إن هذه الشاة لتخبرني أنها مسمومة"، واستدعى المرأة فاعترفت.

ولقد مات من تلك الأكلة أحد أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو بشر بن البراء، وظل النبي -صلى الله عليه وسلم- متأثرًا بما لاكه منها، بل إنه قال في مرضه الذي توفي فيه لأخت بشر: "إن هذا الأوان وجدتُ فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك". وكان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يعدونه شهيدًا بسبب تلك الشاة.

فهذا بعض ما قاله الله تعالى عنهم في القرآن الكريم؟ وبعض ما سطره تاريخهم؟ بناءاً عليه جاء موضوع بحثنا لكي نتذكر ونُذكِّرُ بكلامِ الله عن اليهودِ ونحن نرى فِعلَهم هذه الأيام معنا معاشر أمة الإسلامية .

إنها صفاتُ اليهودِ التي نريد أن نتعرَّف إليها ونُعرِّف بها ونطبقُها على ما نراه من أفعال يهود .. فليس تحليلاً سياسيًا أو رأيًا فكريًا، لكنه كلام رب العالمين عن يهود الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، وتصرفاتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام بل ومع أهل الإسلام ، كل ذلك أثبته التاريخ ولا زال يثبته الواقع وهو خير شاهد ودليل .

من هذا المنطلق كتبت هذا البحث تذكيراً للملسمين وتوضيحاً للحقائق وبياناً للواجب في زمن التبست فيه المفاهيم وميعت فيه القضايا واختلطت فيه الموازين بل انتكست فيه القيم .

وجعلت هذا البحث في تمهيد وستة فصول وخاتمة وكل فصل يشتمل على مباحث وخاتمة ، كالتالي :

تمهيد :في تعريف باليهود و بيان نبذة عن تاريخهم و فرقهم الدينية .
الفصل الأول :أخلاق اليهود في تعاملهم مع الله تعالى كما هي في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
الفصل الثاني : أخلاق اليهود في تعاملهم مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
الفصل الثالث :أخلاق اليهود في تعاملهم مع الملائكة والكتب السماوية .
الفصل الرابع :أخلاق اليهود في تعاملهم مع المؤمنين كما هي في القرآن والسنة المطهرة .
الفصل الخامس : طائفة من أخلاق اليهود النفسية .
الفصل السادس : جرائم اليهود ضد الإنسانية في العصر الحديث .
وختاماً : أقول : إنما كتبت هذه نصحاً للأمة – تعليماً للجاهل وتذكيراً للغافل ، وإني أرجو أن أكون قد أصبت فيما نويت وما كتبت .
وأسأل الله الجواد الكريم:أن يتقبل مني هذا العمل وأن ينفعني به وأن ينفع به كل من يطلع عليه أو يعمل على نشره أو يرشد إليه أو يدل عليه .
والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخوكم : راجي رحمة الله ذي المِنَنْ
أحمد خضر حسنين الحسن – الدوحة
ربيع الأول/1439 – الموافق : ديسمبر /2017

تمهيد

في تعريف باليهود و بيان نبذة عن تاريخهم و فرقهم الدينية

كان لا بد قبل دخول في موضوع أخلاق اليهود من بيان أصل هذه الكلمة في لغة العرب ثم بيان نسبهم و ديانتهم و هل كل يهودي يعتبر من سلالة الأنبياء أم أن الأمر أصبح بحسب اعتناق الديانة اليهودية؟ هذا ما سيتضح من خلال النقاط الآتية:

أولاً: معنى كلمة يهود في اللغة العربية:

جاء في لسان العرب[1]: اليهود: التوبة، هاد يهود هَوْد ،و تهوَّد : تاب و رجع إلى الحق فهو هائد، و قومٌ هودٌ ، مثل حائلٍ و حول ٍ، و في التنزيل العزيز(إِنَّا هُدْنَا)[2] أي تبنا إليك و هو قول مجاهد و سعيد بن جبير و إبراهيم النخعي، و التهَوُّد: التوبة والعمل الصالح و يهود يأتي اسم للقبيلة.

قال الشاعر:

أولئك أولى من يهود بمدحة ٍ إذا أنت يوماً قلتها لم تؤنب

وقيل أن اسم هذه القبيلة يهوذا – بالذال – فعربت بقلب الذال دالاً و حُذف الألف فصارت يهود، و قالوا: اليهود فأدخلو الألف و الام فيها على إرادة النسب، يريدون اليهوديين .... و قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ)[3] معناه: أي دخلوا في اليهودية، يقال: هوَّد الرجل: أي حوله يهودياً، كما جاء في الحديث (ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه)[4] معناه يعلمانه دين اليهودية و يدخلانه فيه ، والتهويد: أن يصير الانسان يهودياً و هاد و تهوَّد، صار يهودياً.

---

1 – لسان العرب: لابن منظور دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة – 1999 (15 / 156) باختصار.

2– الآية156من سورة الأعراف.

3– الآية 146 من سورة الأنعام.

4– أخرجه البخاري في صحيه برقم 4775

ثانياً: تعريف اليهود باعتبارهم قبيلة :

اليهود هم بنو إسرئيل، و بنو إسرئيل هم ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم و على نبينا الصلاة و السلام، و إسرائيل لقب ليعقوب عليه السلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (معناه عبد الله لأنَّ (إسرا) بمعنى عبد، و(إيل) اسم الله) فبذلك تكون إسرائيل مركبة من كلمتين إسرا ، وايل، كما يقولون بيت إيل، أي بيت الله، وبيت إيل: اسم لقرية سميت بها لوز من أرض كنعان نزلها يعقوب عليه السلام في إحدى هجرته.

ويعقوب عليه السلام له اثنا عشر ولداً وهم المشهورون بالأسباط لأنهم أسباط إسحاق بن إبراهيم و إلى هؤلاء الأسباط يرجع نسب جميع بنى إسرائيل . أي اليهود[1].

قال القرطبي رحمه الله: الأسباط ولد يعقوب عليه السلام و هم اثنا عشر ولداً، ولد لكل منهم أمَّة من الناس، واحدهم سبط، و سبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة من ولد إسماعيل، وسموا بالأسباط من السَّبط وهو الشايع فهم جماعة متتابعون، و قيل غير ذلك في معنى السبط[2].

ثالثاً: التعريف باليهود باعتبار الدين و ذكر شيء من تاريخهم:

اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، والمعروفين بالأسباط الذين أرسل إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً ورسولاً[3].

قال ابن عشور - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى)[4] الذين هادوا: هم بنو إسرائيل، و نذكر هنا وجه تسميتهم باليهود، و معنى هادوا: كانوا يهوداً أي دانوا بدين اليهود، و أصل اسم يهود منقول في العربية من العبرانية و هو في العبرانية بذال معجمة _ يهوذا _ و هو علم أحد أسباط إسرائيل، و هذا الاسم . يهود . أطلق على بني إسرائيل بعد موت سليمان عليه

2- التحرير و التنوير لابن عاشور ، مؤسسة التاريخ _ بيروت _ ط / 2000 (12 / 434).

3- جامع الأحكام القرآن _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت _ (2 / 141)

4- الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة _ دار الندوة العالمية الرياض _ 1420 _ (1 / 495).

1- الآية 62 من سورة البقرة.

السلام سنة 975 ق – م ، وذلك لأن مملكة إسرائيل انقسمت بعد موته إلى مملكتين:

المملكة الأولى: مملكة رحيعام بن سليمان، و لم يتبعه إلا سبط يهوذا و سبط بنيامين، و تُلقَّب بمملكة يهوذا ،لأن معظم أتباعه من سبط يهوذا، و جعل رحيعام مقر مملكة أبيه سليمان عليه السلام أو رشليم، وهو اسم لمدينة القدس.

والمملكة الثانية: هي مملكة يوربعام بن بَنَاط غلام سليمان عليه السلام و جعل مقر مملكته السامرة، و تلقب بملك إسرائيل إلا أنه و قومه أفسروا الديانة الموسوية، و عبدوا الأوثان، و لهذا لم يدم ملكهم بل تم القضاء عليه عل يد ملوك الأشورين، فاستأصلوا الإسرائليين و خربوا عاصمتهم السامرة و نقلوهم إلى بلاد آشورهم و جعلوهم عبيداً لهم، فمنذ ذلك اليوم لم يبق لبني إسرائيل ملك إلا ملك يهوذا بأورشليم يتداولهم أبناء سليمان عليه السلام، و دام ملكهم إلى سنة 120 ق. م حيث تم إجلاؤهم على يد الامبراطور دريان الروماني فتفرقوا في الأقطار باسم اليهود، هم و من التحق بهم من ملوك بقية الأسباط، ثم صار اسم اليهود بطلق على كل من دان بدين التوراة[1].

رابعاً: فِرَقُ اليهود :

لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه و سلم بافتراق اليهود في دينهم، فقد روى ابن ماجه عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (افترقت اليهود إلى إحدى و سبعين فرقة، .... إلى آخر الحديث) و لا شك أن هذا الافتراق في الدين، وسأذكر هنا أبرز تلك الفرق و أكثرها انتشاراً و هي ست فرق:

1- **الفريسيون:** أي المتشريرون ويسمون بالأحبار أو الربانيين، و هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، وهم محافظون على موهبهم.
2- **الصِّدْقِيون:** نسبة إلى الصدق ،وهي تسمية اضداد . أي بضد الصدق . لأنهم مشهورون بالإنكار فهم ينكرون البعث و الحساب و الجنة و النار كما ينكرون الملائكة و المسيح المنتظر.

---

2 . التحرير و التنوير (1 /515) باختصار.

3- **المتصبون:** فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح كما اتصفوا بالعدوانية.

4- **الكتبة أو النُّسَاخ:** و هؤلاء عرفوا الشريعة اليهودية من خلال عملهم في النسخ والكتابة، فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، و يسمون بالحكماء والسادة،ووالدهم لقبه (أب)، و قد أثْرَوْا ثراءً فاحشاً على حساب مدارسهم ومريديهم.

5- **القراؤون:** هم قلة من اليهود ظهروا بعد تدهور الفريسيين و ورثوا أتباعهم، و لا يعترفون إلا بالعهد القديم.

6- **السامريون:** و هم طائفة من المتهورين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، كانوا يمسكنون الجبال ببيت المقدس، اثبتوا نبوة موسى و هارون و يوشع بن نون دون نبوة من جاء بعدهم[1].

خامساً: تاريخ اليهود كما يصوره القرآن الكريم[2]:

لقد قسم القرآن الكريم تاريخ اليهود إلى ثلاثة مراحل و ابتداء من عصر فرعون، و غلى وفاة موسى عليه السلام.

- **المرحلة الأولى: مرحلة الإضطهاد:** و هذه المرحلة كانت في عهد فرعون، يقول الله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)[3] فهذه الآية تبين بجلاء، و وضوح أن فرعون لعنه الله كان يذبح الذكور من بني إسرائيل و يبقي الإناث على قيد الحياة بقصد الخدمة و الاستعباد.
- **المرحلة الثانية: مرحلة الخلاص:** لقد حصل تخليص بني إسرائيل من فرعون على يد سيدنا موسى عليه السلام حيث نجاهم الله تعالى من الإضطهاد الذي عاشوه في ذلك العصر، قال تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

1- الموسوعة الميسرة (1 / 499 ، 500) باختصار.

2- ملخصاً من كتاب اليهود في القرآن الكريم للشيخ صلاح أبو إسماعيل . دار العصر للنشر . القاهرة – بلا تاريخ.

3- الآية 4 من سورة القصص

الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)[1].

- **المرحلة الثالثة: مرحلة الإعراض عند الله تعالى:** و هذه المرحلة بدأت منذ أول لحظة نجوا فيها من بطش فرعون، و كان أول اعراض لهم ما ذكرى الله تعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)[2].

تنبيه: هذه المراحل التاريخية تعتبر من أخصب الفترات و أكثرها بياناً للأحداث التي مرتبها اليهود و برزت فيها أخلاقهم و صفاتهم .... و الله أعلم.

1- الآية 137 من سورة الأعراف.

2- الأية 138 من سورة الأعراف.

الفصل الأول

أخلاق اليهود في تعاملهم مع الله تعالى كما هي في القرآن الكريم و السنة المطهرة

المبحث الأول: نقض اليهود للمواثيق و العهود.

المبحث الثاني: شرك اليهود بالله تعالى و عبادتهم للعجل من دون الله.

المبحث الثالث: جحود اليهود للنعم التي أنعم الله بها عليهم.

المبحث الرابع: اتهام اليهود لله تعالى بالبخل و الفقر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

المبحث الخامس: تحايل اليهود على استحلال ماحرم الله عليهم.

تمهيد

إن القارئ لكتاب الله تعالى و للسنة النبوية المطهرة يرى بوضوح كيف كانت أخلاق اليهود في تعاملهم مع رب العزَّة جلا جلاله، و لو لا أن تلك الأخلاق السيئة راسخة في عقولهم و نفوسهم لما سطرها الله تعالى في كتابه و صارت تتلى صباحاً ومساءاً إلى أن يشاء الله تعالى، لقد وصلوا في قبحهم و سوء تعاملهم مع الله تعالى إلى درجة الكذب و البهتان على الله تعالى في صفاته و في تعامله جل و علا مع خلقه، فاليهود ما تركوا شيئاً من الكفر بالله إلا ووقعوا فيه، و ما تركوا شيئاً مما يغضب الله تعالى إلا ركبوه، فهم الذين عبدوا العجل من دون الله، فهم الذين اتهموا الله بالبخل و الفقر . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . وهم الذين نقضوا العهد مع الله جل جلاله بعد أن أخذه عليهم وأكده لهم

كما أنهم أيضاً جحدوا نعم الله عليهم و قابلوها بالكفر بدلاً من الشكر، وهم الذين بلغوا في الوقاحة مبلغاً جعلهم يستحلون ما حرم الله عليهم إما بالجرأة و إما بالحيلة، كل ذلك مسطور في الكتاب العزيز و في السنة المطهرة و إليك بيان تلك الأخلاق القبيحة - عافانا الله تعالى من كل سوء و بلاء -

المبحث الأول

نقض اليهود للمواثيق و العهود

والمراد هنا أن اليهود قد وقع منهم- بل تكرر ذلك كثيراً - نقضهم للعهود التي أخذها الله عليهم ووقعوا في مخالفتهم للمواثيق التي كان من المفترض أن يلتزموا بها، و قد دل على ذلك آيات كثيرة و آثار متعددة، و إليك بيان ذلك من خلال هذين القسمين.

القسم الأول: الآيات الدالة على نقض اليهود للمواثيق والعهود:

الآية الأولى: قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)[1]،

في هذه الآية الكريمة أخبر الله عزوجل أنه أخذ الميثاق على بني إسرائيل بأن يوحدوه و لا يشركوا به شيئاً و أن يقيموا العبادات ومن أجلّها وأعظمها الصلاة والزكاة، وأن يحسنوا إلى الوالدين و إلى الأرحام و اليتامى و المساكين و لكنهم نقضوا هذا الميثاق.

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ) و معنى أخذنا ميثاق الأمة الإسرائيلية على التوحيد و أصول الإحسان، فكنتم ممن تولى عن ذلك و عصيتم الشرع، و**التولي** : الإعراض و إبطال ما التزموه، و حذف متعلقه لدلالة ما تقدم عليه، أي توليتم عن جميع ما أُخذ عليكم الميثاق به أي أشركتم بالله و عبدتم الأصنام و عققتم الوالدين و أسأتم لذوي القربى و اليتامى والمساكين، و قلتم للناس أفحش القول، و تركتم الصلاة و منعتم الزكاة[2].

وقال ابن كثير : يذكّر تعالى بني إسرائيل بما أمرهم من الأوامر و أخذه ميثاقهم على ذلك وأنهم تولوا عن ذلك كله، وأعرضوا قصداً وعمداً وهم يعرفونه ويذكرونه[3].

1- الآية 83 من صورة البقرة.

2- التحرير و التنوير: لابن عاشور . ط1 / 565 .

3- تفسير بن كثير ، دار التراث العربي . مصر بدون تاريخ . (1 / 119).

الآية الثانية: قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[1].

قال ابن كثير: يقول تعالى مذكراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له، و اتباع رسله، و أخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم ليقروا بما عوهدوا عليه و يأخذوه بقوة و حزم وامتثال كما قال تعالى: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[2] فالطور هو الجبل كما فسره به في الأعراف، ونص على ذلك ابن عباس و مجاهد و عطاء و غير واحد .

وقال السعدي: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) يعني التورة، و قال قتادة (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) القوة : أي الجد وإلا قذفت الجبل عليكم قال: فأقروا على ذلك بأنهم يأخذون ما أوتوا بقوة، و قال أبو العالية و الربيع (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) يقول اقرؤا ما في التورة واعملوا بما فيه.

قال ابن كثير: و قال تعالى: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أي ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم توليتم عنه و انثنيتم و نقضتموه[3].

الآية الثالثة: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً)[4].

يقول السعدي: " ومن امتناعهم أي بني إسرائيل من قبول أحكام كتابهم و هو التوراة، حتى رفع الطور من فوق رؤوسهم، و هددوا إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض و الإيمان الشبيه بالإيمان الضرورى.

1- الآية 63 / 64 من سورة البقرة.

2- الآية 171 من سورة الأعراف.

3- ابن كثير (25/1).

4- الآية 155 من سورة النساء.

و أخذ الميثاق الغليظ عليهم، فنبذوه وراء ظهورهم و كفروا بآيات الله و قتلوا رسله بغير حق[1]" اهـ . والآيات التي أوضحت نقض اليهود للمواثيق والعهود كثيرة و لكن اقتصرت على هذه الثلاثة خشية الاطالة.

القسم الثاني: الآثار الدالة على نقص اليهود للمواثيق و العهود[2].

بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة عقد مع اليهود الذين كانوا يسكنونها معاهدة ضَمِن لهم فيها الحرية و الاستقرار، و كان من أهم نصوص هذه المعاهدة (أنه إذا حصل اعتداء على المدينة فعلى اليهود أن يدافعوا مع المسلمين عنها، و أن على اليهود أن يتفقوا مع المسلمين ما داموا محاربين) و نكتفي هنا ببيان أن اليهود بطوائفهم المختلفة قد نقضوا هذا العهد الوارد في هذا النص، و إليك ما ورد في هذا الشأن.

1. يهود بني قينقاع:

بنو قينقاع كانوا يقيمون داخل المدينة، و بيوتهم تلاصق بيوت المسلمين و عندما كانت وقعة بدر لم يكتفوا بالامتناع عن مدِّ يد العون للمسلمين بل ساءهم أن ينتصروا على قريش، و صرحوا بحزنهم لهزيمة أهل مكة وأخذوا يتحرشون بالمسلمين ... و في خلال ذلك نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)[3]، فلما فرغ جبريل عليه السلام من قراءتها قال النبي صلى الله عليه و سلم (إني أخاف من بني قينقاع ثم سار إليهم في سوقهم فقال لهم : يا معشر اليهود احذروا من الله تعالى مثل ما نزل بقريش من النقمة و أسلموا قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم و في عهد الله إليكم ، فقالوا يا محمد، إنك ترى أنَّا كقومك، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، و إنا و الله لو حرتبنا لتعملن أننا نحن الناس)، و لعل هذا النص واضح جداً في نقضهم للعهد و تصميمهم على الحرب، بل بدأوا

1- تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي . جمعية الجيل التراث الإسلامي . الكويت . الطبعة الثانية . 2001 ص (70).

2- هذا المبحث مأخوذ في مخملة من كتاب: بنوا إسرائيل في القرآن و السنة تأليف الدكتور محمد سيد الطنطاوي . دار الشروق . القاهرة . الطبعة الثانية ت 1997 من صفحة (412 _ 414) بتسرف.

3- الآية 58 من سورة الأنفال.

بالفعل إثارة الفتن وإظهار أنهم قد نقضوا العهد و ذلك بإعتدائهم على عرض امرأة مسلمة جاءت إلى سوقهم، فجلست إلى صائغ منهم فجعل اليهود يريدونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا منها فصاحت واستغاثت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، فتجمع اليهود على المسلم فقتلوه، لذلك لم يجد النبي صلى اله عليه و سلم بُدًّا من غزوهم، و قد نقضوا العهد بهذه الفعلة النكراء[1].

2- يهود بني النضير:

يهود بني النضير كان بينهم و بين النبي صلى الله عليه و سلم عهد كسابقيهم من بني قينقاع، و لكنهم أيضاً نقضوا العهد بصورة أبشع من سابقتها إذ خرج إليهم النبي صلى الله عليه و سلم في جماعة من الصحابة منهم أبو بكر و عمر و علي، فلما جاءهم أظهروا له حسن استعداد لأجابته، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة،و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم جالساً إلى جنب جدار لهم، قالوا: فمَن رجل منكم يعلوا هلى هذا البيت، فيلقي عليه صخرة و يريحنا منه ؟ فانتدب لذلك الشقي عمرو بن جحَّاش فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه الصخرة، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم الخبر من السماء بما أراد اليهود فقام و خرج راجعاً إلى المدينة، فما استلبث الصحابة أن قاموا في طلبه حتى انتهوا إليه بالمدينة، فأخبرهم بما كانت اليهود اعتزمته من الغدر به[2]، و بهذا حصل النقض للعهد من هذه الطائفة من طوائف اليهود، فقام النبي صلى الله عليه و سلم لحصارهم و من ثَمّ إجلاءهم من المدينة في قصة طويلة ليس هذا مجال ذكرها.

3 – يهود بني قريظة:

وأما يهود بني قريظة فقد نقضوا العهد مع المسلمين يوم أن أحاطت الأحزاب بالمدينة، فقد روى ابن هشام بسنده إلى عروة بن الزبير أنه قال: خرج حُيي بن

1- السيرة النبوية في ضوء القرآن و السنة _ تأليف الدكتور محمد محمد أبو شهبة _ دار القلم دمشق الطبعة السادسة 2002 . (2 / 395) بتصرف.

2- المرجع السابق (2 / 399) بتصرف يسير.

أخطب حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم - يعني صاحب الأمر وانهي فيهم - فلما سمع به كعب أغلق حصنه دونه، فقال: ويحك ياكعب افتح لي حتى أدخل عليك فقال: و يحك يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، و إنه لا حاجة لي بك و لا بما جئتني به، إني لم أر من محمد إلا صدقاً و وفاء، ووادعني موادعة،فدعني وارجع فلم يزل به كعب حتى فتح له، فلما دخل عليه قال له: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر بقريش مع قادتها حتى أنزلتها بمجمع الأسيال من رومة ، و جئتك بعطفان مع قادتها و سادتها حتى أنزلتهم إلى جانب أُحد، و قد عاهدوني و عاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً و من معه، فقال له كعب: جئتني و الله بذل الدهر فلم يزل به حتى سمع له على أن أعطاه عهداً وميثاقاً، لئن رجعت قريش و غطفات، و لم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده و برئ مما كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فهؤلاء اليهود بطوائفهم الثلاثة ينقضون عهدهم مع الله و مع رسوله صلى الله عليه و سلم، و قد يقول قائل هذا المبحث لبيان أخلاقهم مع الله تعالى فما علاقة نقضهم العهد مع رسول الله بذلك؟ الجواب: أقول إن نقض العهد مع الرسول صلى الله عليه و سلم هو في الحقيقة نقض له مع الله عزوجل، لقوله تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)[1]، و الله أعلم.

[1] . الآية 32 من سورة آل عمران.

المبحث الثاني

شرك اليهود بالله وعبادتهم للعجل من دون الله تعالى

أولاً : عبادة اليهود للعجل:

قبل بيان الآيات التي أشارت إلى عبادة اليهود للعجل يجدر بنا أن نذكر باختصار قصتهم مع العجل أعني كيف تمت صناعته، فأقول:

(بعد أن أغرق الله تعالى فرعون و من معه أمام أعين بني إسرائيل و نجاهم من ظلمه، و سار بهم نبيهم موسى عليه السلام إلى أرض الشام أراد سبحانه أن يكرمهم ببيان شريعته فواعد موسى أن يعطيه التوراة بعد أربعين يوماً يصومها و استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام خلال فترة غيابه و قال له: (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)[1]، و لكن بني إسرائيل بعد أن فارقهم موسى لتلقي التوراة انتهزوا لين جانب هارون معهم، فعبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري من حلى نسائهم و حاول هارون أن يصدهم عن ذلك بشتى السبل، ولكنهم أعرضوا عنه قائلين: (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)[2]، فاعلم الله تعالى موسى أن قومه قد فتنهم السامري بعبادة العجل فعاد إليهم حزيناً مغضباً، وأخذا يوبخهم على فعلتهم الشنيعة المنكرة فاعتذروا إليه بأن السامري هو الذي خدعهم و أضلهم[3]، كل ذلك قصه الله علينا في سورة طه و الأعراف، و الذي يهمنا الآن هو إيراد ما ذكره الله تعالى في شأن عبادة العجل و إليك بيانها.

الآية الأولى: **قال تعالى: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)**[4].

قال ابن عاشور رحمه الله : **(ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) إنما اتخذوا العجل تشبُّهاً بالكنعانيين الذين دخلوا إلى أرضهم و هم الفينيقيون سكان سواحل بلاد الشام فإنهم كانوا عبدة أوثان و كان العجل مقدساً عندهم، و كانوا يمثلون أعظم الآلهة عندهم بصورة إنسان من نحاس له رأس عجل جالس على كرسي ...**

1- الآية 142 من سورة الأعراف.

2- الآية 91 من سورة طه.

3- بنو إسرائيل في القرآن و السنة (500 _ 501) بتصرف.

4- الآية 51 من سورة البقرة.

فكانوا يقربون إليه القرابين فتباً لجهلهم و ما يصنعون، فلما مر بهم بنوا إسرائيل قالوا لموسى (اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)[1]، فانتهرهم موسى وكانوا يخشونه، فلما ذهب للمناجاة واستخلف عليهم هارون استضعفوه و اتخذوا العجل الذي صنعوه من الذهب والفضة من حليهم و عبدوه[2].

الآية الثانية: **قال الله تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)**[3].

قال السعدي رحمه الله : (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً) صاغه السامري و ألقى عليه قبضة من أثر الرسول أي جبريل فصار (لَهُ خُوَارٌ) وصوت فعبدوه و اتخذوه إلهاً (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)[4] يعنون موسعايه السلام - وحاشاه - ، و ذهب يطلبه . اي يطلب إلهه وهذا من سفههم، و قلة بصيرتهم، كيف اشتبه عليهم رب الأرض والسموات بعجل من أنقص المخلوقات ... و لهذا قال مبيناً أنه ليس فيه من الصفات الذاتية، و لا الفعلية ما يوجب أن يكون إلهاً (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ) أي وعدم الكلام نقص عظيم، فهم أكمل حالة من هذا الحيوان أو الحماد الذي لا يتكلم، (وَ لاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً) أي يدلهم طريقاً دينياً، و لا يحصل لهم مصلحة دنيوية، لأن من المتقرر في العقول والفِطَر أن اتخاذ إلهٍ لا يتكلم و لا ينفع و لا يضر من أبطل الباطل و أسمج السفه، و لهذا قال تعالى: (اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، و أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً .

1- الآية 138 من سورة الأعراف.

2- التحرير و التنوير (1 / 483 / 484) باختصار.

3- الآية 148 من سورة الأعراف.

4- الآية 88 من سورة طه.

و في الآية دلالة على أن من أنكر كلام الله تعالى فقد أنكر خصائص إلهية الله تعالى، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم لإلهية[1]

ثم ختم الله تعالى الكلام على عبدة العجل ببيان حكمه عليهم فقال جل وعلا (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ)[2].

قال ابن كثيررحمه الله : أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضاً كما تقدم في سورة البقرة (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[3]، و أما الذلة فأعقبهم ذلك ذلة و صغاراً في الحياة الدنيا، وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) نائلة لكل من افترى بدعة فإن ذُل البدعة وخالفة الرشاد متصلة من قلبه على كتفيه... قال أبو قلابة " هي و الله متصلة لكل مفتر إلى يوم القيامة " [4].

ثانياً: مظاهر شرك اليهود بالله تعالى سوى عبادة العجل :

ما بق ذكره إنما هو يختص بعبادتهم للعجل و لا شك أنه من أقبح الشرك و الظلم، و لكن اليهود لم يكتفوا بهذا بل أحدثوا أنواعاً من الشرك أشار الله إليها في كتابه وأشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحيحة و نحن نشير هنا إلى تلك الأنواع باختصار.

النوع الأول: من شرك اليهود نسبهم الولد إلى الله تعالى:

لقد نسب اليهود الولد إلى الله زوراً و بهتاناً، قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[5].

1- تفسير السعدي (404 / 405).

2- البية 152 من سورة الأعراف.

3- الآية 54 من سورة البقرة.

4- تفسير ابن كثير (2 / 241).

5- الآية 30 من سورة التوبة.

قال ابن عاشور : عُزَيْرٌ: اسم حبر كبير من احبار اليهود الذين كانوا في الأسر البابلي، و اسمه في العبرانية: عِزْرا بن سرايا من سبط اللاويين كان حافظاً للتوراة، و قد تفضل عليه كورش ملك فارس فاطلقة من الأسر و أطلقه معه عدداً من بني إسرائيل و أذن لهم في الرجوع إلى أورشليم و بناء هيكلهم فيه، و ذلك سنة 451 قبل ميلاد المسيح، فكان عزير هو زعيم أحبار اليهود الذين رجعوا بقومهم إلى أورشليم و جددو الهيكل وأعاد شريعة التوراة من حفظه، فكان اليهود يعظموه إلى حد أن ادعى عامتهم أن عزيراً ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- غلواً منهم في تقديسه، و الذين وصفوه بذلك جماعة من أحبار اليهود في المدينة و تبعه كثير من عامتهم[1].

و قال الشيخ الشنقيطي: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) قال بعض العلماء قالته جماعة من اليهود، منهم سلام بن مشكم، و شاس بن قيس، و نعمان بن أوفي ومالك بن الصيف، من اليهود . قبحهم الله . زعموا أن عزيراً ابن الله، و قال بعضهم: قال القدماء من اليهود فاتبعهم الأخرون، و قال بعضهم: أن سبب هذا القول أنهم قتلوا الأنبياء فرفع الله التوراة و مسخه من قلوبهم، و كان عزير قد جاء بعد أن أماته الله مائة عام ثم بعثه، فجاء و قد ضاعت التوراة؛ بقوا لم يحفظوا منها شيئاً، فقرأها عزير و لم يخرم منها حرفاً فقالوا: ما علمه الله إياها إلا لأنه ابنه، ومما يدل على أن هذه المقالة صدرت منهم عدم إنكارهم إياها عبر كل العصور مع أنهم أسرع الناس إلى الإنكار[2].

النوع الثاني : من شرك اليهود اتخاذهم الأحبار أربابا من دون الله:

المراد بالأحبار العلماء، لأن أحبار جمع حَبْر و الحَبْر هو العالم من علماء اليهود، ومعنى اتخاذ اليهود الأحبار أرباباً هو طاعتهم في تحليل الحرام أو تحريم الحلال، يدل على ذلك قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[3].

1- التحرير و التنوير (10 / 69).

2- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير . اعتنى به خالد بن عثمان السبت . دار ابن القيم . الطبعة الأولى _ 2003 ص (5 / 2264) باختصار.

3- الآية 31 من سورة التوبة.

قال ابن عاشور رحمه الله : الرهبان: اسم جمع لراهب و هو التقيُّ المنقطع لعبادة الله تعالى من أهل النصرانية، و الحبر العالم من علماء اليهود ومعنى اتخاذهم أرباباً أنهم كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم و رهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين، فكانوا يعتقدون أن أحبارهم و رهبانهم يحللون ما حرم الله، و يحرمون ما أحل الله، و هذا مطرد في جميع أهل الدينيْن، يعني اليهود والنصارى[1].

قال الشيخ الشنقيطي: و هذه الآية جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه فسرها لعدي بن حاتم رضي الله عنه لما سأله عنها، فقد أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي صلى الله عليه و سلم و في عنقى صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، و سمعته يقرأ في سورة براءة (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) فقال عدي: ما كنا نعبدهم من دون الله، فقال له : (ألم يحلوا لكم ما حرم الله، و يحرموا لكم ما أحل الله فتتبعونهم ؟ قال: بلى قال: فتلك عبادتهم) [2]، و هو معنى اتخاذهم أرباباً، و هذا التفسير النبوي المقتضى أن كل من يتبع مشرِّعاً فيما أحل و حرم مخالفاً لتشريع الله أنه عابد له، متخذه رباً، مشرك به، كافر بالله تعالى، هو تفسير صحيح لا شك في صحته، و الآيات القرآنية الشاهدة لصحته لا تكاد تحصيها في المصحف الكريم[3]، ثم بين رحمه الله بعضاً من الكل الآيات و ليس هذا محال ذكرها.

النوع الثالث: من مظاهر شرك اليهود اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد:

عن عائشة رضي الله عنها: لما نزل برسول الله صلى الله عليه و سلم . قضى الموت . طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال- وهو كذلك - (لعنة على اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[4]، يحذر ما صنعوا.

1- التحرير و التنوير (10 / 171) تبصرت يسير.

2- أخرجه الترمذي في سننه برقم 3095 و الطبراني في معجمة الكبير (17 / 92) مطبعة الأمة . بغداد . بدون تاريخ.

3- العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير (5 / 2266) .

4- رواه البخاري في صحيحه رقم(435 / 436) و راوه مسلم في صحيحه برقم (377).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :(قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[1].

قال العلامة ملا علي قاري : "سبب لعنهم إما لأنهم كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيما لهم ، وذلك هو الشرك الجلي ، وإما لأنهم كانوا يتخذون الصلاة لله تعالى في مدافن الأنبياء ، والسجود على مقابرهم ، والتوجه إلى قبورهم حالة الصلاة ; نظرا منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء ، وذلك هو الشرك الخفي لتضمنه ما يرجع إلى تعظيم مخلوق فيما لم يؤذن له ، فنهى النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته عن ذلك لمشابهة ذلك الفعل سنة اليهود ، أو لتضمنه الشرك الخفي ، كذا قاله بعض الشراح من أئمتنا ، ويؤيده ما جاء في رواية : (يحذر ما صنعوا) .

وقال القاضي : كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ويجعلونها قبلة ، ويتوجهون في الصلاة نحوها ، فقد اتخذوها أوثانا ، فلذلك لعنهم ، ومنع المسلمين عن مثل ذلك ، أما من اتخذ مسجدا في جوار صالح ، أو صلى في مقبرة وقصد الاستظهار بروحه ، أو وصول أثر ما من أثر عبادته إليه ، لا للتعظيم له والتوجه نحوه ، فلا حرج عليه ، ألا ترى أن مرقد إسماعيل - عليه السلام - في المسجد الحرام عند الحطيم ، ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى المصلي لصلاته ، والنهي عن الصلاة في المقابر مختص بالقبور المنبوشة ، لما فيها من النجاسة ، كذا ذكره الطيبي وذكر غيره أن صورة قبر إسماعيل - عليه السلام - في الحجر تحت الميزاب ، وأن في الحطيم بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيا ، وفيه أن صورة قبر إسماعيل - عليه السلام - وغيره مندرسة فلا يصلح الاستدلال به "[2]

1- رواه البخاري في صحيحه رقم (437) و مسلم في صحيحه رقم (376).

2- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - للعلامة ملا علي قاري - حديث 712

المبحث الثالث

جحود اليهود للنعم التي أنعم الله بها عليهم[1].

قبل بيان ما حدث من اليهود من جحود لنعم الله عليهم يجدر بنا أن نبين تلك النعم التي أفاضها الله عليهم، و هنا أذكرها بالجمال ثم أفعلها، حمد الله عليهم أن فضلهم على العالمية . أي عالمي زمانهم . وكثرة الأنياء فيهم . و انجائهم من أعداء، و من نعم الله عليهم ما شهدوه من البيات و المعجزات على يد موسى عليه السلام، و توبة الله عليهم بعد نقضهم للمواثيق، و توبة الله عليهم بعد عبادتهم العجل و غير ذلك و سيكون الكلام في هذا المبحث على قسمين:

القسم الأول: بيان نعم الله على اليهود :

1/ نعمة تفضيلهم على العالمين: من نعم الله على اليهود أن فضلهم على العالمي زمانهم و ذلك إنما هو في الدين قال الله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)[2].

قال ابن كثيررحمه الله تعالى : يذّكرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم و ما كان فضَّلهم به من إرسال الرسل منهم، و إنزال الكتب عليهم ،كما قال تعالى: (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)[3]، و قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ)[4].

قال أبو العالية في قوله تعالى: (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) قال بما أعطوا من الملك و الرسل و الكتب، على العالمين، أي مَنْ كان في ذلك الزمان فإن لكل زمان عالماً، و هذا قول مجاهد و الربيع و قتادة و إسماعيل بن أبي خالد، و يجب حمل الآية على هذا المعنى ، لأن هذه الأمة المحمدية أفضل منهم لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ

---

1 – أصل هذا البحث من كتاب بنو إسرائيل في القرآن والسنة – د. محمد طنطاوي ص (331) بتصرف وزيادات .

2 – الآية 47 من سورة البقرة.

3 – الآية 32 من سورة الدخان.

4 – الآية 20 من سورة المائدة.

الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)[1]، و قد ذكَّر الله تعالى بني إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بهذه النعم مع أنها كانت لآبائهم، لأن النعم على الآباء نعمة على الأبناء لكونهم منهم، و لأن شرف الاصول يسري إلى الفروع، فكان التذكير بتلك النعم فيه شرف لهم، و حسن سمعة تعود عليهم، و تغريهم بالإيمان و الطاعة لو كانوا يعقلون[2].

2/ نعمة إنجائهم من الأعداء :

لا شك أن من جليل النعم أن ينجيك الله من العدو المتبرص بك وقد أشار الله تعالى إلى نعمة اليهود بإنجائهم من فرعون في غير موضع من القرآن الكريم فقال تعالى مخاطباً اليهود (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)[3].

يقول الرازي رحمه الله : و اعلم أن فائدة ذكر هذه النعمة يتأتى من وجوه، أهمها و جهاتهما :

أ/ إن هذه الأشياء التي ذكرها الله تعالى لما كانت من أعظم ما يمتحن به الناس من جهة الملوك الظلمة، صار تخليص الله لهم من هذه المحنة من أعظم النعم و ذلك لأنهم عاينوا الهلاك من حاول إهلاكهم، و شاهدوا ذل من بالغ في إذلالهم، ولا شك في أن ذلك من عظم النعمة، و أعظم النعم يوجب المبالغة في الطاعة و البعد عن المعصية، لذا ذكر الله النعمة العظيمة ليلزمهم . أي اليهود . الحجة، و ليقطع عذرهم.

ب/ أنهم اليهود : لما عرفوا أنهم كانوا في نهاية الذل، و كان عدوهم في نهاية العز، إلا أنهم كانوا محقين، و كان خصمهم مبطلاً، لا جرم زال ذل المحقين و بطل عز المبطلين، و كان الله يقول لهم: " لا تغتروا بكثرة أموالكم، و لا بقوة مركزكم، و لا تستهينوا بالمسلمين لقلة ذات يدهم، فإن الحق إلى جانبهم، و من كان الحق إلى جانبه فإنَّ العاقبة لا بد أن تكون له"[4].

1- الآية 110 من سورة آل عمران.

2- بنو إسرائيل في القرآن و السنة (344).

3- الآية 49 من سورة البقرة.

4- تفسير الفخر الرزي (3 / 74) باختصار.

و خوطب بهذه النعمة اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه و سلم مع أنَّ هذا الإنجاء كان لأسلافهم، لأن في نجاة أسلافهم نجاة لهم، فإنه لو استمر عذاب فرعون لآبائهم لأفناهم، و لما بقي هؤلاء الأبناء، فلذلك كانت منَّة التنجية تحمل في طياتها منَّتين، منَّة على السلف لتخلفهم مما كانوا فيه من العذاب، ومنَّة على الخلف لتمتعهم بالحياة بسببها.

فكان من الواجب عليهم جميعا أن يقدِّروا هذه النعمة حق قدرها، وأن يعرفوا فضل الله تعالى عليهم فيخلصوا له العبادة حيث أنجاهم من عدوهم[1].

وقد تكرر التذكير بهذه النعمة في عدد من الآيات القرآنية، فمن ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)[2].

و قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)[3]، و قال تعالى: (يَا بَنِي إِسْرائيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى)[4].

3/ نعمة فرق البحر بهم و إغراق آل فرعون :

قال تعالى: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)[5]، وقال تعالى: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ)[6].

1- بنو إسرائيل في القرآن و السنة (315).

2- الآية 141 من سورة الأعراف.

3- الآية 6 من سورة إبراهيم.

4- الآية 80 من سورة طه.

5- الآية 50 من سورة البقرة.

6- الآيات من سورة الشعراء (61-66)

يقول الفخر الرازي : في بيان فوائد نعم الله على بني إسرائيل في فرق البحر بهم ما ملخصه: اعلم أن هذه الواقعة - أي واقعة الغرق في البحر - تضمنت نعماً كثيرة على بني إسرائيل في الدين و الدنيا.

أ / نعم الدنيا : فمن وجوه :

أولها : أنهم لم اقتربوا من البحر أصبحوا في موقف حرج لأن فرعون و جنوده من ورائهم و البحر من أمامهم، فإن هم توقفوا أدراكهم عدوهم و أهلكهم، و أن تقدموا غرقوا، فهل لهم خوف عظيم، جاءهم بعدها الفرج بانفلاق البحر و هلاك عدوهم.

ثانياً : أن الله تعالى خصهم بهذه النعمة العظيمة و المعجزة الباهرة تكريماً و رعاية لهم.

ثالثاً : أنهم بإغراق فرعون و آله تخلصوا من العذاب، و تم لهم الأمن و الإطمئنان و ذلك نعمة عظمى، لأنهم لو نجوا دون هلاك فرعون لبقى خوفهم على حاله، فقد يعود لتعذيبهم مستقبلاً، لأنهم لا يأمنون شره، فلما تم الفرق تم الأمان لليهود.

ب . و أما نعم الدين فمن وجوه :

اولها:أن اليهود لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة زالت عن قلوبهم الشكوك و الشبهات لدلالة هذه المعجزة على وجود الصانع الحكيم و على صدق موسى عليه السلام تقترب من العلم الضروري.

ثانها: أنهم لما شاهدوا ذلك صار داعياً لهم على الثبات و الانقياد لأوامر نبيهم موسى عليه السلام.

ثالثها: أنهم عرفوا أن الأمور كلها بيد الله فإنه لا عزّ في الدنيا أكمل مما كان لفرعون و لا ذلّ أشر مما كان لبني إسرائيل، ثم إن الله تعالى في لحظة واحدة جعل العزيز ذليلاً، و القوى ضعيفاً، و الضعيف قوياً، و ذلك يوجب الإقبال على اتباع أوامر الخالق عزوجل[1].

4/ نعمة عفو الله عنهم بعد عبادتهم للعجل:

لقد سبق و أن ذكرنا ما حصل من اليهود من عبادة العجل و برغم ذلك فقد ذكر الله تعالى أنه عقا عنهم و ذلك في قوله عزوجل: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً

1 . تفسير الفخر الرازي (2 / 74) باختصار و تصرف.

ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[1]، أما الآية الأولى فقد سبق ذكر تفسير، و أما الآية الثانية فقد قال الطاهر ابن عاشور: و قوله (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) هو محل المنَّة و عطفه بثم لتراخي رتبة هذا العفو في أنه أعظم من جميع النعم التي سبق عدها، و ذلك لعظم الذنب الذي وقعوا فيه.

5/ نعمة إرشادهم إلى أسباب توبة الله عليهم من العذاب:

يقول الله تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[2].

قال **ابن كثير** هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل.

قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) فقال ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع، قال الله تعالى: (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[3]، قال فذلك حين قال موسى: (يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْل).

قال ابن كثير: و في قوله هاهنا (إِلَى بَارِئِكُمْ) تنبيه على عظم جرمهم أي فتوبوا إلى الذي خلقكم و قد عبدتم معه غيره.

و قد روى النسائي عن ابن عباس قال: فقال الله تعالى: " إن توبتهم أن يقتل كل واحد منهم من لقي من والد و ولد فيقتله بالسيف، و لا يبالي من قتل في ذلك الموطن.... فغفر الله للقاتل و المقتول "،و قال قتادة: أمر القوم بشديد من الأمر، فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضاً حتى بلغ الله فيهم نقمته فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل فجعل لحيهم توبة، و للمقتول شهادة[4]

1- الآية 51 / 52 من سورة البقرة.

2- الآية 54 من سورة البقرة.

3- الآية 149 من سورة الأعراف.

4- تفسير ابن كثير (86/1) باختصار.

قال دكتور سيد طنطاوي: و هذه الآية الكريمة تضمنت نعمة كبرى على بني إسرائيل، فإن الله تعالى لطف بهم و رحمهم قبل توبتهم، و عفى عن قتلهم لأنفسهم بعد أن صدر منهم ما يدل على صدقهم و توبتهم، كما تضمنت . أيضاً . تذكير بني إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بنعم الله عليهم، لأنه لولا عفوه سبحانه عن آبائهم لما وجدوا هم . يعني الأبناء . و فيها إشارت إلى سماحة الإسلام حيث لم تقبل فيها التوبة دوق قتل النفس و ما هذا إغراء لهم بدخول الإسلام[1].

6/ نعمة بعثهم من بعد موتهم :

لقد أنعم الله على بني إسرائيل بنعمة البعث بعد الموت، و إنما كانت أماتتهم بسبب طلبهم من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهره فأماتهم الله بسبب هذا السؤال الذي يدل على الجفاء و الغلظة و عدم فقههم لقضية الإيمان بالغيب، ثم أحياهم الله بعد ذلك، فقال تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[2].

قال ابن كثير: يقول تعالى و اذكروا نعمة الله عليكم في بعثي لكم بعد الصعق إذ سألتم رؤيتي جهرة عياناً مما لا يستطاع لكم و لا لأمثلكم..... قال الربيع بن أنس كان موتهم عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت يستوفوا آجالهم، و كذا قال قتادة.

قال ابن جرير: و القائلون لموسى عليه السلام أرنا الله جهرة هم السبعون الذين اختارهم موسى كلاماً فساروا معه و قالوا له اطلب لنا ربك لنسمع كلامه، قال: الربيع بن أنس رضي الله عنه : سمعوا كلاماً فقلوا: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) [3].

و نسبه ابن كثير هذا القول إلى أكثرهم فقال: (الذين قالوا لموسى أرنا الله جهرة المراد بهم السبعون المختارون، و لم يحك كثير من المفسرين سواه)[4] .

1- بنو إسرائيل في القرآن و السنة (363) باختصار.

2- الآية 55 / 56 من سورة البقرة.

3- تفسير ابن جرير . دار المعرفة . بيروت . الطبعة الثانية . 1972 (1 / 232).

4- . تفسير ابن كثير (93/1).

7/ نعمة شمول الله إياهم بفضله و رحمته رغم نقضهم الميثاق:

لقد سبق و أن ذكرنا في المبحث الأول أنَّ اليهود نقضوا مواثيقهم مع الله تعالى و لكن مع هذا فقد شملهم الله برحمته و أراد منهم العودة إلى ما يرضيه و لا شك أن هذا من أجلِّ نعم الله عليهم، و قد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[1].

قال **النسفي** في تفسيرها: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) بقبول ما في التوراة (وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) أي الجبل قبلتم و أعطيتم الميثاق (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ) من الكتاب أي التوراة (بِقُوَةٍ) بجد و عزيمة (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) و احفظوا ما في الكتاب و أدرسوه، و لا تنسوه، و لا تغفلوا عنه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، رجاء منكم أن تكونوامتقين، (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ)ثم أعرضتم عن الميثاق و الوفاء به و من بعد ذلك، أي من بعد القبول،

فلولا فضل الله عليكم و رحمته، بتاخير العذاب عنكم أو بتوفقيكم للتوبة لكنتم من الخاسرين، الضالين[2].

ففي هذه الآية الكريمة تصريح بما حباهم الله من رأفة بهم و قبول لتوبتهم و عفو عن خطيئاتهم، فكأنه سبحانه يقول لهم: إنكم بإعراضكم عن طاعتي و نقصنكم لعهدى و إهمالكم العمل بكتابي، و عدم تأثركم بآياتي و نذري، قد استحققتم عذابي ة عفني عليكم، و لكن حال دون حلولها بكم فضلى الذي تداركم و رحمتي و سعتكم و لطفي و إمهالي لكم، و لو لا ذلك لكنتم من الخاسرين في دنياكم و آخرتكم بسبب ما اخترتم من نقض ميثاقكم[3].

لعلك أخي القارئ الكريم بالإطلاع على هذه النعم تدرك كم كان لله تعالى على بني إسرائيل من نعمة، و كم كان الله بهم رؤوفاً رحيماً، و ليست نعمته تعالى قاصرة على ما سبق ذكره بل هناك نعم أخرى كثيرة أشارت إليها آيات القرآن الكريم،

1- الآيتان 63 / 64 من سورة البقرة.

2- تفسير النسفي ـ تأليف أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي . دار الكلام الطيب . بيروت . الطبعة الأولى . 1998 . (1 / 95 ، 96).

3- بنوا إسرائيل في القرآن و السنة (380).

و لكن تركنا ذكرها خشية الإطالة، فمن ذلك قوله تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)[1].

و قوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[2].

القسم الثاني: بيان جحود اليهود بنعم الله عليهم.

مما هو معلوم ضرورة أن الإنسان كلما ازدادت نعم الله عليه كان الشكر في حقه أوجب و كان للطاعة أقرب و عن المعصية لله أبعد، لأنه يستشعر تلك النعم فيزداد بذلك خضوعاً لله تعالى... و لكن ياترى هل كان واقع اليهود كذلك ؟ كلا، بل كانوا أشد الناس ابتعاداً من منهج الله تعالى و اكثرهم كفراً بالله و بأنبيائه و رسله، فهم جحدوا نعم الله عليهم الدينية و الدنيوية و لعلى هنا اكتفي بذكر آيتَين تدلان على هذا المعنى.

أ/ جحود اليهود للنعم الدنيوية: من نعم الله تعالى على اليهود في أيام التيه أن أطعمهم أفضل أنواع الطعام و سقاهم أفضل الشراب و جعل الغمام يظلهم حيثما ساروا، قال تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[3].

يقول السعدي رحمه الله : ثم ذكر نعمته عليهم أي على اليهود في التيه و البرية من الظلال و سعة الارزاق فقال تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ) هو اسم جامع لكل رزق يحصل بلا تعب، و منه الزنجبيل و الكماة و الخبز و غير ذلك (وَالسَّلْوَى) طائر حفيد يقال له السماني، طيب اللحم، كان ينزل عليهم من المن والسلوى ما يكفيهم و يقيتم (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) أي رزقاً لا يحصل لأهل

1- الآية 57 / 58 من سورة البقرة.

2- الآية 60 من سورة البقرة.

3- الآية 57 من سورة البقرة.

المدن المترفهين فلم يشكروا هذه النعمة و استمروا على قسوة القلوب و كثرة الذنوب (وَ مَا ظَلَمُوناَ) يعني بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا، لأن الله لا تضره معصية العاصين كما لا تنفعه طاعات الطائعين (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فيعود لضرر عليهم[1].

قلت: أشار السعدي إلى جحود اليهود إلى تلك النعمة الدنيوية من خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة، و كذلك هناك صورة أخرى من صور جحودهم لتلك النعم و هي قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)[2]، فكأنهم سئموا تلك النعم و أرادا استبدالها فبدلاً من أن يعملوا على أداء شكرها جحدوها و طلبوا غيرها، فبئس ما لاقوا به تلك النعم.

ب/ جحود اليهود للنعم الدينية : إن من أجل النعم الدينية عليهم ما وعدهم الله من معيَّته و ما أمرهم به من عبادات تتسبب في سعادتهم في الدنيا و الآخرة فقال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)[3].فانظر أخي الكريم إلى وعد الله لهم بالمعية شريطة إقامة العبادات المذكورة في الآية الكريمة و لكنهم قابلوا هذا الإنعام و الإكرام بالجحود و النكران و نقض المواثيق، فقال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً)[4].

1- تفسير السعدي ص 46.

2- الآية 61 من سورة البقرة.

3- الآية 12 من سورة المائدة.

4- الآية 13 من سورة المائدة.

و ليس جحود اليهود للنعم متوقفاً على نقض الميثاق المذكور في هذه الآية و في غيرها مما سبق ذكره في المبحث الأول بل لقد ظهر جحودهم للنعم بأنواعها في صور كثيرة سيأتي ذكرها عند بيان بقية ما تخلَّقوا به من أخلاق سيئة في تعاملهم مع الله تعالى و مع رسله الكرام فلا داعي لذكرها هنا خشية التكرار و الإطالة.

المبحث الرابع

اتهام اليهود لله تعالى بالبخل و الفقر

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

إن من أشنع و أقبح ما يصدر من هذا الإنسان الضعيف الذي خلقه الله تعالى و مكَّن له العيش في الأرض أن يعود على من خلقه و أكرمه و أنعم عليه بالإتهام بما لا يليق به من أوصاف يستقبحها البشر و لا يرضون بها، لقد صدر من اليهود أمران عظيمان من سوء الأدب مع الله تعالى فقالوا يد الله مغلولة، قال الله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[1]، و قال تعالى: (قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)[2]

لا يشك عاقل في أن هذا الكلام الذي صدر منهم إن دل على شيء فإنما يدل على عدم تعظيمهم لله تعالى و على سوء أدبهم و قلة حيائهم و لو لا أن الله سَّطَر هذا القول ما كان يخطر ببال بشر، أنَّ هناك بشراً يقول هذا الكلام الذي ينم عن سوء طوية و فساد اعتقاد و بعد عن الجادة عفانا الله و المسلمين من ذلك كله.

ففي هذا المبحث سأتناول آيتين تدلان على هذين الخلقين القبيحين من أخلاق اليهود : أحدهما: اتهامهم لله بالبخل، و الثاني: اتهامهم لله بالفقر تعالى عن ذلك علواً كبيراً، و تقدس و تنزه.

أولاً: اتهام اليهود لله تعالى بالبخل:

لقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله جل جلاله: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ).

يقول ابن الجوزي: قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) قال أبو صالح عن ابن عباس نزلت في فنحاص اليهودي و اصحابه قالوا: يد الله مغلولة، و في سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال:

---

1 . الآية 64 من سورة المائدة.

2 . الآية 181 من سورة آل عمران.

القول الأول: أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد صلى الله عليه و سلم و كفروا به، كف عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا: يد الله مغلولة، رواه أبو صالح عن ابن عباس و به قال عكرمة.

القول الثاني: أن الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة، فقالوا: إن الله بخيل و يده مغلولة، فهو يستقرضنا، قاله قتادة.

القول الثالث: أن النصارى لما أعانوا يختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس، قالت اليهود: لو كان الله صحيحاً . ضد سقيم . لمنعنا فيده مغلولة، ذكره قتادة أيضاً[1].

قلت: أياً كان السبب في هذا القول فهو قول واضح البطلات (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً)، و لهذا رد الله عليهم بقوله: (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا) يعني: أُمسكت أيديهم عن كل خير و طردوا عن رحمة الله، قال الزجاج: رد الله عليهم فقال: أنا الجواد الكريم و هم البخلاء، و أيديهم مغلولة ممسوكة، و قيل: هذا دعاء على اليهود، علمنا الله كيف ندعوا عليهم، فقال: (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) أي في نار جهنم، فعلى هذا هو من الغل حقيقة أي شدت أيديهم إلى أعناقهم و طرحوا في النار جزاءاً لهم على هذا القول، و معنى (وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا) عذبوا بسبب ما قالوا، فمن لعنتهم أنهم مسخوا في الدنيا قردة و خنازير، و ضربت عليهم الذلة و المسكنة و الجزية و في الآخرة لهم عذاب النار.

و قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) يعني أنه تعالى جواد كريم (يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاء) و هذا جواب لليهود، و رد على ما افتروه و اختلقوه على الله تعالى - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - وإنما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم[2].

قال السعدي في تفسيره : قوله تعالى: **(** بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) لا حجر عليه، و لا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله و إحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، و أن لا يسدوا على أنفسهم

1- زاد المسير في علم التفسير . لابن الجوزي . دار ابن حزم . بيروت . الطبعة الأولى . 2002 ص 395 بتصرف يسير.

2- تفسير الخازن . لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . 1995 (2 / 60).

أبواب إحسانه بمعاصيهم [فيده سحاء الليل و النهار]، وخيره في جميع الأوقات مدراراً، يفرج كرباً و يزيل غماً، و يغني فقيراً، و يفك أسيراً و يجبر كسيراً، و يجيب سائلاً، و يعطي فقيراً عائلاً، و ينعم على من لا يسأل و يعافي من طلب العافية، و لا يحرم من خيره عاصياً، بل خيره يرتع فيه البر و الفاجر، و يجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال[1].

ثانياً: اتهام اليهود لله تعالى بالبخل . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً :

قال تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)[2].

قال ابن الجوزي: في سبب نزولها قولان :

أحدهما: أن أبابكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت مدراس لليهود- مكان للتعليم - فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم . اسمه فنحاص . فقال له أبوبكر: اتق الله و أسلم فوالله إنك تعلم أن محمداً رسول الله، فقال والله يا أبابكر ما بنا إلى الله من فقر، و إنه إلينا لفقير، و لو كان غنياً ما استقرض منا، فغضب أبوبكر و ضرب وجه فناحص ضربة شديدة، و قال: والله لو لا العهد الذي بيننا لضربت عنقك، فذهب فنحاص يشكوا إلى النبي صلى الله عليه و سلم، و أخبره أبوبكر بما قال فنحاص، فجحد فنحاص فنزلت هذه الآية[3] (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) هذا قول ابن عباس و إلى نحو هذا ذهب مجاهد و عكرمة و السدي و مقاتل.

الثاني: أنه لما نزل قوله تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[4]،

1- تفسير السعدي ص (305).

2- الآية 181 من سورة آل عمران.

3- أخرجه ابن إسحاق و ابن جرير و ابن المنذر و ابن ابي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس و رجاله. إسناده ثقات خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت فإنه مجهول تفرد به ابن إسحاق و قال الشيخ أحمد شاكر و إسناده جيد أو صحيح نقلاً عن هامش زاد المسير (245).

4- الآية 45 من سورة البقرة.

قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن و قتادة[1].

قال الخازن في تفسيره: " أنزل الله تصديقاً لأبي بكر و تكذيباً لفنحاص و رداً عليهم (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) و هذه المقالة و إن كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم رضون بمقالته هذه فنسبت إلى جميعهم، و لا يخلوا أن يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول أو قالوها استهزاءاً، و إيهماً كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل، و إنما صدرت عن كافر متمرد في كفره و ضلاله (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا) يعني قولهم: أن الله فقير و نحن أغنياء، لأن ذلك القول في صحائف أعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها القيامة، فهو وعيد و تهديد لهم" [2].

1- زاد المسير ص 245 .

2- تفسير الخازن (1 / 326 – 327).

المبحث الخامس

تحايل اليهود على استحلال ما حرم الله عليهم

لقد ذكر الله في كتابه و النبي صلى الله عليه و سلم في سنته ما حصل من اليهود من استحلال لما حرم الله عليهم، و ليس بغريب على من وقع في كل ما سبق ذكره من قبائح الأخلاق و سيء الأعمال أن يتحايل على شريعة الله تعالى وأن يحاول الوصول إلى مصالح الدنيوية و لو بتحريف النصوص وتحميلها ما لا تحتمل ثم يظن أنه على شيء من الشرع أو لا يزال تحت سلطانه، و ما حصل من اليهود من التحايل أو استحلال قد أخذ صوراً متعدداً، أذكر منها صورتين إحدهما من القرآن الكريم والآخر من السنة النبوية.

الصورة الأولى: تحايلهم على الصيد في يوم السبت بعد أن حرمه الله عليهم :

لقد ذكر الله تعالى قصة استحلال اليهود لما حرمه الله تعالى عليهم من صيد السمك في يوم السبت في موضعين من كتابه:

أحدهما قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)[1].

والثاني قوله تعالى: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[2].

وإليك مجمل ما جاء في كتب التفسير في قصة استحلال اليهود للصيد يوم السبت من خلال هاتين الآيتين.

قال العلماء بالأخبار: أنهم كانوا في زمان داود عليه السلام بقرية أيلة، و حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، و كان إذا دخل يوم السبت لم يبق في البحر حوت إلا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرته، فإذا مضى السبت تفرقت الحتيان و لزمن قعر البحر، فذلك قوله تعالى: (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ) ثم إن الشيطان وسوس لهم و قال: إنما نهيتم عن أخذها يوم

---

1 . الآية 65 من سورة البقرة.

2 . الآية 163 من سورة البقرة.

السبت و لم تنهوا عن أخذها في غيره، فعمد رجال منهم فحفروا حياضاً كباراً حول البحر، و شرعوا منه إليها صغاراً فإذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار، فيقبل الموج من البحر بالحيتان إلى تلك الحياض فيقعن فيها و لا يقدرون على الخروج منها لعمقها، فإذا كان يوم الأحد اخذوها، ففعلوا ذلك زماناً و لم تنزل بهم عقوبة فتجرؤوا على السبت و قالوا: ما نرى السبت إلا قد أُحِل لنا فأخذوا و أكلوا و باعوا واشتروافلما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف كما ذكر ذلك حمهور المفسرين:

صنف أمسك عن الصيد و نهى عن الأصطياد، و صنف أمسك و لم ينه و صنف أنهمك في الذنب و هتكوا الحرمة، و كان هؤلاء عددهم نحواً من سبعين ألفاً.

وكان الصنف الناهون اثنى عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا: والله لا نسكانكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فخرج الناهون يوماً من بابهم و لم يخرج من المجرمين أحد، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الجدار فإذا القوم كلهم قردة تعاوى، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا قال تعالى: (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فجعل الذين نهوهم يقولون لهم ألم ننهكم ، يقولون برؤوسهم: نعم[1]

الصورة الثانية: تحايلهم على أكل الشحوم بعد أن حرمها الله عليهم.

فأما تحريم الشحوم عليهم فقد ورد في قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)[2].

و أما تحايلهم على أكل ما حرم عليهم من الشحوم فقد ورد في السنة و ذلك فيما رواه الشيخان و غيرهما عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول و هو بمكة عام الفتح [إن الله و رسوله حرم بيع الخمر و الميتة و الخنزير و الأصنام، فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة ؟ فإنه يطلى بها السفن، و يدهن بها الجلود و يستصبح بها الناس، فقال: لا هو حرم، ثم قال رسول الله صلى

---

1 . انظر تفسير الآيتين عند ابن الجوزي و القرطبي و الخازن و ابن كثير و النسفي و ما نقلته مختصر جداً بحسب ما يقتضيه المقام.

2 . الآية 146 من سورة الأنعام.

الله عليه و سلم عند ذلك قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه][1].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الحميد بن غنم أن تميماً الداري كان يهدي لرسول الله صلى الله عليه و سلم كل عام راوية من خمر فلما كان عام حُرِّمت، فجاء براوية، فلما نظر إليه النبي صلى الله عليه و سلم ضحك و قال هل شعرت أنها حرمت بعدك، قال: يارسول الله، أفلا أبيعها فأنتفع بثمنها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (لعن الله اليهود انطلقوا إلى ما حرم الله عليهم من شحوم البقر و الغنم فأذابوه فجعلوا ثمناً له، فباعوا به ما يأكلون و إن الخمر حرام و ثمنها حرام، و إن الخمر حرام و ثمنها حرام) .

قلت رواية أحمد فسرت برواية الشيخين حيث قال هناك (جملوه) و قال هنا (فأذابوه) و الحديثين دلالة على أن اليهود احتالوا على الانتفاح بما حرم الله عليهم من تلك الشحوم حيث حولوها إلى دهون ثم قاموا ببيعها ثم اشتروا بتلك الأثمان حوائجهم، و ظنوا بذلك أنهم لم يأكلوا الحرام و هذه من الحيل التي حرمها الله تعالى كما بين ذلك النبي صلى الله عليه و سلم في هذين الحديثين و غيرهما[2].

---

1 . البخاري برقم 2236 و مسلم برقم 1571 .

2 . مسند أحمد (4 / 227) نقلاً عن كتاب اليهود في السنة المطهرة . تأليف د . عبد الله بن ناصر الشقاري . دار طيبة . الرياض ط . 1996 (2 / 527).

الفصل الثاني
أخلاق اليهود في تعاملهم مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

المبحث الأول: اليهود قتلة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.
المبحث الثاني: اليهود يكذبون الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.
المبحث الثالث: اليهود يؤذون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و يستهزؤون بهم.

المبحث الأول

اليهود هم قتلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

إن أعظم جريمة يرتكبها إنسان في حق أخيه الإنسان هي أن يقوم بقتله، ولقد قال تعالى في هذا الشأن: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)[1] وقال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)[2].

فإذا كان هذا في شأن المؤمنين فكيف بمن يقتل الأنبياء والمرسلين، لا شك أن هذا كفر بالله تعالى وكفر بدينه عز وجل، وأن الذي يقتل نبيا يكون قد اعتدى ثلاث مرات، مرة على مؤمن، ومرة على مقام النبوة، ومرة على بقية الناس، حيث حرمهم من الهداية والتأسي بذلك النبي.

ولقد ثبت ارتكاب اليهود هذه الجريمة البشعة النكراء التي لا تليق إلا بأمثالهم، ولقد مضى كيف كانت أخلاقهم في تعاملهم مع الله جل وعلا، فلهذا لا يستغرب منهم قتلهم للأنبياء، وقد ذكر الله تقتيل اليهود الأنبياء في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وسأكتفي هنا بتفسير آيتين إحداهما من سورة البقرة، والأخرى من سورة آل عمران، وفي ثنايا ذلك سأذكر الأحاديث الدالة على هذا المعنى.

الآية الأولى: قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)[3] وسأقتصر في تفسيرها على محل الشاهد منها.

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) يقول الله تعالى: هذا الذي جازيناهم من الذلة

---

1 . الآية 32 من سورة المائدة.

2 . الآية 93 من سورة النساء.

3 . الآية 61 من سورة البقرة.

والمسكنة وإحلال الغضب بهم بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كفر أعظم من هذا، قال أبو داود الطيالسي بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبي ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النهار. قد روى الإمام أحمد عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيا) [1].

قلت: وهذه الآيات كقوله تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)[2] فلا حاجة إلى الكلام على تفسيرها دفعا للإطالة.

الآية الثانية قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[3].

قال السعدي: هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية أشد الناس جرما، وأي جرم أعظم من الكفر بآيات الله، ويقتلون الأنبياء الذين حقهم أوجب الحقوق على العباد بعد حق الله تعالى الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم وتعزيرهم وتوقيرهم ونصرتهم، وهؤلاء اليهود قابلوهم . أي الأنبياء . بغير ذلك، فاستحقوا بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح[4].

وقال ابن كثير: هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا التي بلغهم إياها الرسل استكبارا عليهم وعنادا لهم، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم إلا لكونهم دعوهم إلى الحق. قال ابن أبي حاتم بسنده عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيا أو من أمر بمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله

1- تفسير ابن كثير (1/ 898) باختصار.

2 . الآية 112 من سورة آل عمران.

3 . الآية 21 من سورة آل عمران.

4- تفسير السعدي ص (149) باختصار.

صلى الله عليه وسلم وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأبعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وتسعون رجلا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار ذلك اليوم، وفيهم الذين ذكر الله عز وجل، هكذا رواه ابن جرير[1].

قال في الكشاف: وقد قتلت اليهود نشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم، فإن قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره؟ قلت: معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم، لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم، فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها –أي سببا- يستحقون به القتل عندهم[2] **قال السيوطي**: في آل عمران يعني قوله تعالى: (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ) خطاب للموجودين في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ولقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ) وقوله: (يقتلون) ولم يقل كفروا، لأنهم كانوا حريصين على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك سموه –أطعموه سما- فجاء منكّرا ليكون أعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم[3]. قلت : أشار السيوطي رحمه الله إلى ما ورد في البخاري عن أنس رضي الله عنه عن أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيئ بها فقيل: ألا تقتلها؟ قال لا، قال أنس: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] **قال ابن حجر** وزاد مسلم بعد قوله: فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك عليّ. قوله: في لهوات بفتح اللام جمع لهاة، وهي سقف الفم أو اللحمة المشرفة على الحلق، وقيل هي أقصى الحلق، وقيل ما يبدو من الفم عند التبسم[5]. اهـ

1- تفسير ابن كثير (235/1، 236) باختصار.

2- الكشاف – للزمخشري – مكتبة العبيكان الرياض – الطبعة الأولى 1998، (1/ 276)

3- قطف الأزهار في كشف الأسرار – للسيوطي، تحقيق ودراسة أحمد الحمادي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –قطر– الطبعة الأولى 1994 (1/ 264)

4- صحيح البخاري برقم (2617).

5- فتح الباري بشرح صحيح البخاري – لابن حجر العسقلاني – دار الفكر . بيروت (5 / 552).

وهذه إحدى محاولات اليهود لقتل النبي صلى الله عليه وسلم، والمحاولة الثانية هي ما سبق ذكره في مبحث نقض اليهود للعهود والمواثيق عندما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم غلى بني النضير فحاولوا رمي الصخرة عليه، وقد سبق ذلك، فهذا كله يدل على أن اليهود هم قتلة الأنبياء عبر التاريخ، ومن كان هذا شأنهم فلا يتورعون عن سفك دم مسلم مهما كان قدره، ومهما كان عهده وميثاقه، فهم لا يرغبون في مؤمن إلا ولا ذمة، وواقعهم اليوم مع الأمة الإسلامية يدل على أنهم لا يزالون كذلك،والواقع خير شاهد، والله أعلم.

المبحث الثاني

اليهود يكذِّبون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

إن الله تعالى قد خص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق تؤهلهم لتلقي الوحي والاضطلاع بأعباء الرسالة ليكونوا قدوة للناس يقتدى بهم في أمور الدين والدنيا، فالواجب على جميع البشر الإيمان بأن هؤلاء الأنبياء معصومون عن أية نقيصة لأنهم قد كملهم الله سبحانه في الأمانة والصدق والفطانة والتبليغ وغيرها من الأخلاق التي لا بد منها للقيام بالحمل الذي حملهم الله إياه، وقد شهد الله لهم بالصدق فقال عن شأن إسماعيل عليه السلام:(إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)[1]. وقال عن إبراهيم عليه السلام: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)[2]، وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين[3]، فهم أهل الصدق مع الله ومع الناس، فكان الواجب على البشر أن يؤمنوا بهم ويصدقوهم في كل ما يقولون.

لقد كان اليهود على العكس من هذا تماما، إذ قاموا بتكذيبهم والاستهزاء بهم وعدم توقيرهم، ولقد اتضح جليا مما ذكرناه في المبحث السابق أن تكذيب اليهود للأنبياء يعتبر من أقل جرائمهم، كيف لا، وهم قد قاموا بقتلهم، ولكن لما كان هذا التكذيب من الجرائم ؟؟؟ سجلها الله تعالى عليهم في كتابه، كان لا بد من ذكره و للوقوف عنده، لذا سأذكر. سأذكر هنا آيتين مما يدل على هذا الخلق القبيح من أخلاق اليهود وأثناء ذلك بعضاً من الأحاديث النبوية.

الآية الأولى: قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)[4] وسأقتصر هنا على ذكر تفسير الشاهد من الآية.

---

1 . الآية 54 من سورة مريم.

2 . الآية 41 من سورة مريم.

3 . الإيمان – تأليف محمد نعيم ياسين – دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر، ص 148 بتصرف يسير.

4 . الآية 87 من سورة البقرة.

قال ابن عاشور: قوله تعالى: أفكلما جاءكم" الآية، الاستكبار الاتصاف بالكبر وهو هنا الترفع عن اتباع الرسل وإعجاب المتكبرين بأنفسهم واعتقادهم أنهم أعلى من أن يطيعوا الرسل ويكونوا أتباعا لهم، وقوله: "ففريقا كذبتم وفريقا يقتلون" مسبب عن الاستكبار، فالفاء للسببية، فإنهم لما استكبروا بلغ بهم العصيان إلى حد أن كذبوا فريقا أي صرحوا بتكذيبهم أو عاملوهم معاملة الكاذب، و قتلوا فريقاً و هذا كقوله تعالى عن أهل مرين (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)[1].

و قوله: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ)، أفاد عموم الرسول و شمل هذا موسى عليه السلام فإنهم و إن لم يكذبوه بصريح اللفظ لكنهم عاملوه معاملة المكذبين به إذ شكوا فيه غير مرة فيما يخبرهم عن الله تعالى و أساءوا الظن به مراراً، و أما بقية الرسل فكذبوهم بصريح القوا مثل عيسى و قتلوا بعض الرسل مثل أشعياء و زكرياء و يحي و ابنه عليهم السلام[2].

هذا في تكذيب اليهود للأنبياء السابقين و أما تكذيبهم للنبي صلى الله عليه و سلم فقد أشارت إليه الاية لأنها جاءت بصيغة الخطاب و المضارعة ففريقاً كذبتهم و فريقاً تقتلون، و قد سبق بيان محاولة اليهود قتل النبي صلى الله عليه و سلم فتكذيبهم إياه من باب أولى، و لقد ورد في القرآن و السيرة النبوية ما يدل على على تكذيبهم له صريحاً.

أما القرآن فقوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)[3].فالآية دلت على كفر اليهود بالنبي محمد صلى الله عليه و سلم و لولا تكذيبهم له لآمنوا به لأن أوصافه ثابتة عندهم في التوراة كما أشارت إليه الآية الكريمة.

---

1 . الآية 91 من سورة هود.

2 . التحرير و التنوير – للشيخ محمد الطاهر بن عاشور – (1 / 580 – 581) باختصار.

3 . الآية 89 من سورة البقرة.

قال ابن كثير: قال أبو العالية: كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه و سلم على مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا كي نعذب المشريكين و نقتلهم فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه و سلم و رأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب و هم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و أما في السيرة النبوية: فقد أورد ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس و الخزرج برسول الله صلى الله عليه و سلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به و جحدوا ما كنوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ ابن جبل و بشر بن البراء و داود بن سلمة: يا معشر اليهود اتقوا الله و أسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد و نحن أهل شرك، و تخبروننا بأنه مبعوث و تصفونه بصفته، فقال: سلام بن مشكم: ما جاءنا شيء نعرفه و لا هو بالذي كنا نذكره لكم فأنزل الله هذه الآية[1].

الآية الثانية: قوله تعالى: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ)[2].

قال الخازن: قوله عزوجل: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ) يعني أخذنا العهود عليهم في التوراة بأن يعملوا بما فيها من التوحيد، والعمل بما أمرناهم به و الانتهاء عما نصيناهم عنه، (وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً) يعني لبيان الشرائع و الأحكام (كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ) يعني بما يخالف أهواءهم و يضاد شهواتهم من ميثاق التكليف و العمل بالشرائع (فَرِيقاً كَذَّبُوا) يعني من الرسل، فكان ممن كذبوا عيسى و محمد صلى الله عليه و سلم، و كان فيمن قتلوا زكريا و يحي عليهما السلام و إنما فعلوا ذلك نقضاً للميثاق و جرأة على الله عزوجل و مخالفة لأمره[3].

قال ابن عاشور: لما وصفت بنوا إسرائيل بأنهم يكذبون الرسل و يقتلونهم إذا جاءوهم بما يخالف هواهم علمنا أن لم يخل رسول جاءهم من أحد الأمرين أو كليهما: و هما التكذيب و القتل، و ذلك مستفاد من قوله تعالى (كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ)

---

1 . تفسير ابن كثير (1 / 124).

2 . الآية 70 من سورة المائدة.

3 . لباب التأويل – للعلامة الخازن (2 / 163).

فلم يبق لقوله (بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ) فائدة إلا الإشارة إلى تفظيع حالهم من أنهم يكذبون الرسل أو يقتلونهم في غير حالة يلتمسون لأنفسهم فيها عذراً من تكليف بمشقة فادحة، أو من حدوث حادثة ثائرة، أو من أجل التمسك بدين يأبون مفارقته، كما فعل مشركوا العرب عند مجيء الإسلام، بل، لمجرد مخالفة الهوى[1].

1 – التحرير و التنوير (5 / 70) باختصار.

المبحث الثالث

اليهود يؤذون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويسخرون منهم

من أخلاق اليهود البالغة الغاية في الشناعة والقبح سوء تعاملهم مع الأنبياء وإلحاق الأذى بهم والسخرية منهم، وهذا كله من الكفر بالله والكفر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومعلوم أن توقير الأنبياء وتعظيمهم من الفروض العقائدية، فلا يقدم على الجرأة على مقام النبوة إلا من فرغ قلبه من الإيمان وخلا صدره من التعظيم لله تعالى ولشعائره، وقد دلت نصوص كثيرة على إيذاء اليهود للأنبياء عليهم السلام، وسأكتفي هنا بذكر النصوص الدالة على إيذائهم لسيدنا موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

أولاً : قوله تعالى (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)[1]

هذا الكلام خرج من بني إسرائيل لموسى عليه السلام بعد أن ذكّرهم بنعم الله عليهم من الملك النبوة وبعد أن أمرهم بدخول بيت المقدس فجادلوه في ذلك كثيراً وليس هو موضوعنا – فقالوا له أخيراً هذه المقولة الشنيعة التي تدل على الاستخفاف به عليه السلام (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ).

يقول السعدي في تفسيرها: فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم به لنبيهم في هذا المقام الضيق الذي قد دعت الحاجة والضرورة فيه إلى نصرة نبيهم وإعزاز أنفسهم[2].

وقال الشربيني: (قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما)[3] وقصة دخول بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة طويلة ولكن اكتفيت هنا بذكر الآية التي فيها دلالة على إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام.

ثانياً : قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[4].

---

1 . الآية 24 من سورة المائدة.

2 . تفسير السعدي ص (91).

3 . تفسير الشربيني 0 1 / 367).

4 . الآية 67 من سورة البقرة.

هذه الآية جاءت في صدر قصة ذبح البقرة، وسبب أمر الله تعالى لبني إسرائيل بذبح البقرة أنهم أردوا معرفة القاتل الذي قتل ابن عمه الوحيد لبرثه فلما أمرهم موسى عليه السلام بقوله، (إن الله أمركم أن تذبحوا بقرة) أجابوه بقولهم أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً) قال الشربيني في معنى هذه الآية: أي أتستهزئ بنا، نحن نسأل عن أمر القتيل وتأمرنا أن نذبح بقرة، ، وإنما قالوا ذلك استبعاداً لما قاله واستخفافاً به[1]. أهـ

لقد دافع موسى عليه السلام عنه هذه التهمة التي وجهت إليه وهي الاستهزاء بهم فقال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين تبرأ وتنَزَّه من الهزء لأنه لا يليق بالعقلاء الأفاضل وبالغ في التنزه بقوله (أَعُوذُ بِاللَّهِ) لأن العياذ بالله أبلغ كلمات التقى فإن المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالى .

وصيغة (أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) أبلغ في انتفاء الجهالة من أن لو قال أعوذ بالله أن أجهل[2] .

ثالثاً : قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً)[3]

هذه الآية تبين بعضاً مما آذى به اليهود نبي الله موسى عليه السلام، ففي صحيح البخاري[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياءاً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص، وإما أدرة ، وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام، فخلا يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول : (ثوبي حجر، ثوبي حجر) حتى انتهي إلى ملإ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن، ما خلق الله عز وجل ، وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبسه وطفق

---

1 . تفسير الشربيني (1 / 68).

2 . التحرير و التنوير (1 / 530) باختصار.

3 . الآية 69 من سورة البقرة.

4 . صحيح البخاري رقم (3404) .

بالحجر ضرباً بعصاه، فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً قال وذلك قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى).

قال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم بسنده – عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) قال صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون عليه السلام، فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياءاً فآذوه من ذلك :

قال ابن كثير : قلت يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم[1].

قالت: يريد ابن كثير بأن الأذى المقصود في الآية يشمل اتهام اليهود لموسى عليه السلام، بالبرص وغيره من الآفات فحصلت للبراءة بما ذكره في صحيح البخاري، وكذلك يشمل اتهامهم له بقتل أخيه هارون عليه السلام

رابعاً : قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[2]، هذه الآية بينت الإيذاء الذي حصل لموسى عليه السلام من اليهود على سبيل الإجمال.

قال الخازن في تفسيرها: قيل أنهم كانوا يؤذونه بأنواع من الأذى، من ذلك التنُّث، ومنها قولهم، أرنا الله جهرة، وقولهم : لن نصبر على طعام واحد، ومنها أنه رموه – اتهموه – بالأدرة (وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) يعني تؤذنني وأنتم تعلمون علماً قطعياً أني رسول الله إليكم والرسول يعظَّم ويوقر ويحترم ولا يؤذى)[3].

هذا كان من شأن اليهود مع موسى عليه السلام وهو شيخ أنبياء بني إسرائيل، فيا ترى كيف كان حالهم مع غيره من الأنبياء، لا شك أنه أسوأ بكثير، وفي النقاط التالية سترى كيف كان إيذاؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

خامساً : قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[4].

---

1 . تفسير ابن كثير (3 / 499).

2 . الآية 5 من سورة الصف.

3 . تفسير الخازن (4 / 287) باختصار .

4 . الآية 104 من سورة البقرة.

هذه الآية فيها إشارة إلى ما وقع من اليهود من إيذاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث حرفوا معاني بعض الكلمات والتي كان الصحابة ينادونه بها، وأراد اليهود بذلك الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم، ويقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله [كان المسلمون يقولون : راعنا يا رسول الله، وأرعنا سمعك] يعنون : من المراعاة، وكان هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود، فلما سمعتها اليهود أغتنموها، وقالوا فيما بينهم : كان نسب محمداً سراً فأعلنوا له الآن بالشتم وكانوا يأتونه، ويقولون (راعنا يا محمد) ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها سعد بن معاذ ففطن لهم، وكان يعرف لغتهم، فقال لهم، عليكم لعنة الله ، والذي نفسي بيده، يا معشر اليهود لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فقالوا : أو لستم تقولونها، فأنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا) الآية لكي لا تتخذ اليهود ذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] أهـ

سادساً : ومن صور استهزاء اليهود بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عدم توقيره عند إلغاء التحية عليه ، فبدلاً من أن تكون التحية دلالة على التوفير والاحترام جعلوها سبباً للدعاء عليه بالموت فكانوا يقولون له عند تحية السام عليك بدلاً من السلام عليك، والسام هو الموت فكأنهم يدعون عليه بالموت ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه: عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك، ففهمتها فقلت : عليك السام واللعنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مهلاً يا عائشة ، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله : فقلت : يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال (فقد قلت: وعليكم)

سابعاً : ومن صور إيذاء اليهود لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنهم قاموا بسحرة ، ولاشك أن من أعظم أنواع الإيذاء لأي، إنسان هو سحره ، وذلك لتعطيل حياته فما أجرأ اليهود على ارتكاب المنكرات وأنواع المعاصي ، والسيئات ، فقد ثبت عن البخاري ومسلم – واللفظ له – عند عائشة رضي الله عنها قالت (سحر رسول

1- الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص 241

الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌ من يهود بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا، ثم قال : يا عائشة ، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والأخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رأسي للذي عند رجلي ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب قال : من طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم ، قال : في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة، قال : وجب طلعة ذكر، قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذى أروان، قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه ، ثم قال : [يا عائشة والله لكأنَّ ماءها نقاعة الحناء ، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين] فقلت : يا رسول الله، أفلا أحرقته ؟ قال : لا أما أنا فقد عافاني الله؛ وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفنت][1] وفي روايته للنسائي: [فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه فاستخرجها فجاء بها فخللها، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال ، فما ذكر لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى مات][2] من رواية زيد بن أرقم.

ثامناً : ومن صور إيذائهم للأنبياء عليهم السلام، ذكر الله في كتابه من إيذائهم للمسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام حيث قال تعالى (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً)[3].

قال الطاهر ابن عاشور: أن قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم فحمل المؤاخذة عليهم منه : هو أنهم قصدوا أن يعدوا هذا الإثم في مفاخر إسلافهم الراجعة إلى الإخلاف بالعهد المبين في سبيل نصر الدين[4].

---

1 . صحيح البخاري برقم (5793) و مسلم برقم (2189) .

2 . سنن النسائي . دار الكتاب العربي . بيروت . (1 / 113).

3 . الآية 107 من سورة النساء .

4 . التحرير و التنوير (4 / 305) .

لقد بسط ابن كثير قصة محاولة اليهود لقتل المسيح عيسى عليه السلام، في تفسيره فقال رحمه الله: كان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه أنه لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات ... ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم ، حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يساكنهم في بلدة بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان وكان رجلاً مشركاً من عبده الكواكب كان يقال لأهل ملته اليونان، وأنهوا إليه أن في بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك ذلك وكتب إلى نائبه بالقدس أنه يصلبه – أي المسيح – ويضع الشوك على رأسه ويكف أذاه عن الناس فلما وصل الكتاب أمتثل والي بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه اثنى عشر أو ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر نفراً، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هنالك، فلما أحس بهم، وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم، قال لأصحابه أيكم يلقى عليه شبهي وهو رفيقي الجنة ؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب، فقال : أنت هو ، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء، وهو كذلك كما قال الله تعالى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[1]، فلما رفع ، خرج أولئك النفر، فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك، وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ما عدا من كان في البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه[2].

---

1 . الآية 55 من سورة آل عمران .

2 . تفسير ابن كثير (1 / 574) باختصار .

ثم أورد رحمه الله عدداً من الروايات في ذلك تدل على ما سبق ذكره في هذه القصة، ولسنا في حاجة إلى ذكرها خشية الإطالة إذ يحصل المقصود من الآيتين اللتين ذكرناهما للتدليل على إيذاء اليهود لعيسى عليه السلام بما سبق ذكره.

وأخيراً : أقول : من جميع تلك النصوص والآثار يبدو لك أيها القارئ واضحاً جلياً ما كان من اليهود من الأذى والاستهزاء تجاه أعظم الأنبياء بل من أعظم أولى العزم من الرسل وهم سيدنا محمد وموسى وعيسى عليهم السلام فيا ترى كيف كان حالهم مع بقية الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

الفصل الثالث

أخلاق اليهود في تعاملهم مع الملائكة والكتب السماوية

المبحث الأول : عداوة اليهود لجبريل عليه السلام.

المبحث الثاني : تحريف اليهود للتوراة .

المبحث الثالث : إنكار اليهود الكتب السماوية .

المبحث الرابع: أخلاق اليهود مع القرآن الكريم و كيفية تعاملهم معه.

المبحث الأول

عداوة اليهود لجبريل عليه السلام

من المعلوم ضرورة وجوب الإيمان بالملائكة وإجلالهم وتوقيرهم على كل من آمن بالله تعالى وعلم بوجود الملائكة يقيناً عن طريق إخبار الرسل عليهم السلام لكن لليهود موقف مختلف تماماً فهم مع علمهم وإيمانهم بوجود الملائكة إلا أنهم والوا بعض الملائكة وعادوا بعضهم فسجل الله تعالى هذا التصرف الذميم من اليهود في كتابه فقال جل وعلا: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[1].

يقول القرطبي : سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي فمن صاحبك حتى نتابعك ؟ قال : جبريل ، قالوا : ذاك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ذاك عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالقطر والرحمة تابعناك فأنزل الله الآية إلى قوله (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)[2].

قال ابن عاشور : وقد عرف اليهود في المدينة بأنهم أعداء جبريل ففي البخاري عن أنس بن مالك قال، [سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في أرض يخترف فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ ما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال رسول الله أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال: جبريل ؟ قال نعم، قال ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ)، "وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يا أكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت" قال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله][3]

---

1 . الآية 89 من سورة البقرة .

2 . تفسير القرطبي (1 / 603) .

3 . التحرير و التنوير (1 / 603) .

وذكر **ابن كثير** روايات أخرى لنزل الآية الكريم، فمن ذلك ما رواه ابن أبيّ حاتم بسنده عن الشعبي قال: انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود فقال أنشركم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمداً في كتبكم ؟ قالوا نعم، قال: فما يمنعكم أن تتبعوه ؟ قالوا : إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له الملائكة كِفْلاً ، وإن جبريل كفل محمداً، وهو الذي يأتيه وهو عدونا من الملائكة، و ميكائيل سلمنا ، لو كان ميكائيل الذي يأتيه أسلمنا ، قال فإني أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما منزلتهما عند الله تعالى ؟ قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، قال عمر: وإني أشهد ما ينزلان إلا بإذن الله، وما كان ميكائيل ليسالم عدو جبرائيل ، وما كان جبرائيل ليسالم عدو ميكائيل، فبينما هو عندهم إذ مر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام إليه عمر فأتاه وقد أنزل الله عز وجل (مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)[1]

قال السعدي في تفسيرها : قل لهؤلاء لليهود الذين زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك ، إن وليك جبريل عليه السلام ، لو كان غيره من ملائكة الله لآمنوا بك وصدقوا : إن هذا الزعم منكم، تناقض وتهافت وتكبُّر على الله، فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك فالعداوة لجبريل كفر بالله وآياته وعداوة لله ولرسله وملائكته، فإن عداوة اليهود لجبريل ليست لذاته وإنما لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله، فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله والذي أرسل به، والذي أرسل إليه فهذا وجه ذلك[2].

يؤخذ من هذا كله أن اليهود لم يستحوا من الله حيث زعموا أنه يعادون جبريل عليه السلام لأنه ينزل بالحرب والشدائد وهم يعلمون يقيناً أنه عليه السلام كان ينزل بالوحي على الأنبياء والرسل السابقين ومن بينهم موسى عليه السلام وكذلك سائر أنبياء بني إسرائيل، وليس هدفهم كما قال السعدي – عداوة جبريل بل هدفهم عدم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

---

1 . تفسير ابن كثير (1 / 131) .

2 . تفسير السعدي – ص (57) تبصرف يسير .

المبحث الثاني

تحريف اليهود للتوراة

إن واجب أهل الإيمان مع الكتب السماوية تلقيها بالإجلال والإعظام وذلك لأنها من كلام اله تعالى وهذا هو الخُلُق الذي لا يجوز سواه مع كلامه عز وجل، ولكن اليهود كما كانوا سيئين في أخلاقهم وفي تعاملهم مع أنبياء الله ورسله فكذلك ساءت أخلاقهم مع الكتب المنزلة وذلك من عدة نواحي تبين من خلال النصوص الآتية :

أولاً : قوله تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[1].

يقول الشنقيطي : قال العلماء : هذا الفريق هم علماؤهم ومعنى (يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ) أي يسمعون كلام الله يتلى في كتابه التوراة ويفهمونه (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) من عبد ما أدركوه بعقولهم، فيجدون . مثلاً . في التوراة : من صفات النبي صلى الله عليه وسلم (أبيض) فيحرفونها إلى (أسمر) ويجدون من صفاته : (ربعة) فيحرفونها إلى طويل شذب ونحو ذلك.

ومن ذلك أن علماء اليهود كانوا يحرفون أحكام التوراة بأن يبدلوها بما يوافق أهواءهم فيجعلون الحرام حلالاً، والحلال حراماً، وينكرون بعض آياتها كالرجم، وغير ذلك من تحريفهم لأحكام التوراة.

وإذا كان هذا حال خيارهم وعلمائهم مع التوراة بعد فهمها وعلم ما فيها، مما يدل على عدم إجلالهم لكلام الله فكيف يغيرهم ، فمالكم تطمعون في أن مثل هؤلاء يؤمنون في أن مثل هؤلاء يؤمنون لكم يهتدون إلى خير[2]

وقال ابن عاشور : والتحريف أصله مصدر حرف الشيء إذا مال له إلى الحرف وهو يقتضى الخروج عن حادة الطريق،

وقوله (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) حال من (فريق) وهو قيد في القيد يعني يسمعونه ثم يعقلونه ثم يحرفونه، وهم يعلمون أنهم يحرفون ، وأن قوماً توارثوا هذه الصفة لا يطمع في إيمانهم ، فالغالب أن يكون خلقهم واحداً ، وطباعهم متقاربة كما قال نوح

---

1 . الآية 57 من سورة البقرة .

2 . العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (1 / 145) بتصرف يسير .

(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً)[1].

ثانياً : قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)[2]

قال الطاهر بن عاشور : معنى (يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ) أنهم يكتبون شيئاً لم يأتهم من رسلهم، بل يضعونه ويبتكرونه كما دل عليه قوله (ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) المُشعر بأن ذلك قولهم بأفواههم ليس مطابق لما في نفس الأمر... وليس هذا القول (ثُمَّ يَقُولُونَ) متراخياً عن كتابتهم ما كتبوه في الزمان بل هما متقارانات لأن (ثم) للترتيب الرُّتبي، وقوله (لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً) الثمن المقصود هنا هو إرضاء العامة بأن غيروا لهم أحكام الدين على ما يوافق أهواءهم أو انتحال العلم لأنفسهم مع أنهم جاهلون فوضعوا كتاباً تافهاً من القصص والمعلومات البسيطة ليتفقهوا بها في المجامع ، لأن عقولهم لم تصل إلى العلم الصحيح، وهذه شنشة الجهلة المتطلبين إلى الرئاسة عن غير أهلية يظهروا في صور العلماء لدى أنظار العامة .

وكأن هذه الآية تشير إلى ما كان في بني إسرائيل من تلاشي التوراة بعد تخريب بيت المقدس في زمن نختصر ثم في زمن طيطس القائد الروماني وذلك أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام قد أمر بوضعها في تابوت العهد فلما غزاهم بختنصر سنة 588 ق .م أحرق الهيكل والمدينة كلها بالنار وأخذ معظم اليهود فباعهم عبيداً في بلدة ومعلوم أنهم لم يكونوا يومئذ يستطيعون إنقاذ التوراة وهم لم يكونوا من حفظتها يضاف إلى ذلك أن اليهود قد عبدوا الأصنام غير مرة وهذا في حد ذاته مؤذن بضياع الدين وتناسيه، ولهذا اتفق المثقفون من العلماء الباحثين عن تاريخ الدين على أن التوراة قد دخلها التحريف والزيادة والتلاشي، وقد قال (لنحرك) أحد علماء الإفرنج – (أن الكتب الخمسة التي هي مجموع للتوراة قد دخلها

---

1 . الآية 27 من سورة نوح .

2 . الآية 79 من سورة البقرة .

تحريف كثير عن علم صموئيل أو عزير، ويذكر علماؤنا أن اليهود إنما قالوا عزير ابن الله لأنه أدعى أنه ظفر بالتوراة[1] .

ثالثاً : قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[2].

هذه الآية قريبة في معناها من الآية السابقة إلا أن فيها معنى أشد من تلك يشير إليه **السعدي حيث قال:** يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب، أي يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، ويشمل الآتي : التحريف لألفاظه ومعانيه، وذلك أن المقصود من الكتاب حفظ الألفاظ وعدم تغييرها ، وفهم المراد منها ، وإفهامه ، وهؤلاء عكسوا القضية ، وأفهموا غير المراد من الكتاب ؛ إما تعريضاً وإما تصريحاً ، فالتعريض في قوله (لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ) أي يلوون ألسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله وليس هو المراد، والتصريح في قولهم، [ويقولون هو أعظم جرماً ممن يقول على الله بلا علم ، وهؤلاء يقولون على الله الكذب فيجمعون بين نفي المعنى الحق، وإثبات المعنى الباطل ، وتنزيل اللفظ الدال على الحق على المعنى الفاسد مع علمهم بهذا][3] .

رابعاً : أورد ابن هشام في السيرة وابن جرير في تفسيره أثراً يدل على إنكار اليهود صفات النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال : معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعتبة بن وهب لليهود : يا معشر اليهود اتقوا الله، فو الله أنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهوذا ـ وهما يهوديان ـ [ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده] فأنزل الله (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[4]

---

1 . التحرير و التنوير (1 / 559) باختصار .

2 . الآية 78 من سورة آل عمران .

3 . تفسير السعدي (162) .

4 . الآية 19 من سورة المائدة .

خامساً : قال ابن هشام : قال ابن إسحاق - بسنده - عن أبي هريرة رضي الله عنه" أن أحبار اليهود اجتمعوا في بيت المدارس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت فقالوا : ابعثوا هذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد، فسلوه كيف الحكم فيهما ، وولوه الحكم عليهما، فإن عمل فهما التجبية، فاتبعوه فإنما هو ملك و التجبية هي الجلد بحبل من ليف مطلي بقار، ثم تسود وجودهما ثم حملان على حمارين ، وتجعل وجوههما إلى أدبار الحمارين – قالوا (وإن هو حكم فيهما بالرجم فأنه نبي فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه ، فأتوه ، فقالوا : يا محمد ، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة أحصنت ، فاحكم فيهما، فقد ولينك الحكم فيهما، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس، فقالوا : يا معشر يهود أخرجوا إليَّ علماءكم ، فأخرجوا له عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاماً شاباً فألظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسألة ، يقول له : يا ابن صوريا أنشدك الله ، وأذكرك بأيامه عند نبي إسرائيل ، هل تعلم أن الله حكم في من زنى بعد إحصانه في التوراة بالرجم، قال : اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم أنهم ليعرفون أنك نبي مرسل، ولكنهم يحسدونك ، قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بهما فرجما، ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم] .

وفي رواية ابن عمر قال : لما حكَّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجلس حبر منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجم ـــ أي ليغطيها لكي لا يقرؤها ـ قال ابن عمر: فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر ثم قال : هذه يا نبي الله آية الرجم، يأبى أن يتلوها عليك ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم [ويحكم يا معشر يهود ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم ؟ قال: فقالوا: والله إنه قد كان فينا يعمل به، حتى زنى رجل منا بعد أحصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف، فمنعه الملك من الرجم ، ثم زنى بعده رجل فأراد أن يرجمه فقالوا : لا والله حتى ترجم فلاناً ، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية ، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم " فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به " ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده قال ابن عمر: فكنت فيمن رجمهما][1].

قلت : وأصل القصة في الصحيحين[2] ولكنها مختصرة عما هاهنا ، والله أعلم.

خلاصة المبحث : تبين من خلال تلك الآيات والآثار أن اليهود كانوا يقدمون على تعريف التوراة بكل جرأة ووقاحة، ولهم دوافع بهذا الإجرام العظيم وقد أشارت الآيات إلى تلك الدوافع وإليك بعضها.

1- ابتغاء جمع المال وذلك ما أشارت إليه الآية (ليشتروا به ثمناً قليلاً) وقد نهاهم الله عن ذلك (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً)

2- المحافظة على المكانة بين العامة لئلا يوصموا بالجهل، إذ فقدوا التوراة منذ زمن طويل، وذلك في الفترة التي تلت ما أصابهم على يدي بختنصر كما سبق ذكره.

3- عدم رغبة الأشراف والملوك في النزول إلى تطبيق حكم الله عليهم كما مر قريباً في حادثة الرجم .

4- حسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم لما وجدوا أنه من العرب بعد أن كانوا يتوقعون أن يبعث فيهم، فدفعهم الحسد إلى تحريف صفاته لئلا يتبعوه بل صدوا عامتهم عن إتباعه صلى الله عليه وسلم (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ).

---

1 . السيرة النبوية . لبن هشام . (2 / 186 – 188) .

2 . البخاري برقم (4556) و مسلم برقم . (1699) .

المبحث الثالث

إنكار اليهود للكتب السماوية

اليهود إنما هم قوم يشيعون أهواءهم فمتى ما وجدوا شيئاً من الأحكام الشرعية في التوراة أو غيره يخالف أهواءهم أنكروه بالكلية أو حرفوه حتى يوافق أهواءهم ، ولعله قد تبين لك أيها القارئ الكريم مما سبق أنهم لن يتوقفوا عن إنكار الشرائع عندما تخالف أهواءهم ، وإنما قلت هذه المقدمة لأن عنوان المبحث قد يكون فيه شيء من الغرابة ولكن دل على ذلك الكتاب والسنة، وأبين ذلك من خلال الآية الكريمة : قال تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)[1] سبب نزولها : ورد في سبب نزولها عدة روايات :

الرواية الأولى : عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة [أن سبب نزولها أن مالك بن الصيف رأس اليهود ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أتجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين ؟ قال " نعم" قال فأنت الحبر السمين" فغضب ، ثم قال "ما أنزل الله على بشر من شيء " فنزلت الآية ذكره ابن الجوزي[2]، والقرطبي وزاد " فقال له أصحابه الذين معه " وحاك ، ولا على موسى ؟ : فقال : " والله ما أنزل الله على بشر من شيء] فزلت الآية[3]

الرواية الثانية : هذه مروية عن ابن عباس أيضا : [أن اليهود قالوا : يا محمد أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال " نعم" فقالوا له والله ما أنزل الله كتاباً من السماء " فنزلت هذه الآية][4]

الرواية الثالث: [أن اليهود قالوا : يا محمد : أن موسى جاء بألواح يحملها من عند الله تعالى، فأتنا بآية كما جاء موسى ، فنزل (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ

---

1 . الآية 91 من سورة الأنعام .

2 . زاد المسير (453) .

3 . القرطبي (5 / 37) .

4 . زاد المسير (453) .

كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً)[1] فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة ، قالوا : والله ما أنزل عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على بشر من شيء فنزلت هذه الآية] ، وهذا قول محمد بن كعب القرظى[2]

الرواية الرابعة : [أنها نزلت في كفار قريش ، وهذا على قول من يقول إن جميع السورة مكية، وذلك أن قريشاً قالوا : والله ما أنزل الله على بشر من شيء] رواه ابن نجيح عن مجاهد[3].

والذي قاله به جمهور المفسرين أنها نزلت في اليهود، قال الخازن : سبب نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين، أنها نزلت في اليهود، وهذا على قول من يقول : إن هذه الآية نزلت بالمدينة، وأنها من الآيات المدنيات التي في السور المكية، قال ابن عباس: نزلت سورة الأنعام بمكة إلا ست آيات منها قوله تعالى : { وما قدور الله حق قدره} ثم ذكر الروايات الثلاث الأول[4]..

---

1 . الآية 153 من سورة النساء.

2 . زاد المسير – لابن الجوزي – ص (453) و تفسير الخازن (2 / 134) .

3 . المرجعيين السابقين .

4 . تفسير الخازن (2 / 134) .

المبحث الرابع

أخلاق اليهود مع القرآن الكريم وكيفية تعاملهم معه

لقد كانت أخلاق اليهود مع القرآن الكريم هي الكفر والجحود والعناد شأنهم في ذلك شأن أسلافهم مع التوراة، ولقد سجل الله عليهم هذا الكفر في كتابه العزيز في آيات عديدة، وقبل التعرض لها أقول: لقد كان من المفترض من اليهود أن يسارعوا بالإيمان بالقرآن لأن الله تعالى قد وصف لهم نبيّ آخر الزمان وصفاً لا يرتابون معه عند رؤيته حتى قال قائلهم لو اشتبه عليَّ ولدي من صلبي لم يشتبه عليَّ محمد . صلى الله عليه وسلم . ، فإذا كان هذا هو الحال فكان الواجب عليهم أن يؤمنوا به وبما أنزل عليه، ولكنهم كانوا على العكس من ذلك بل حاربوه بكل ما يستطيعون فكفروا به كفراً ظاهر، تارة ونافقوا في الإيمان به ثانية، وآمنوا ثم ارتدوا تارة أخرى فهذه ثلاثة مواقف من اليهود تجاه القرآن الكريم و إليك بيانها:

1- كفر اليهود بالقرآن الكريم ومجاهرتهم بعداوته:

يدل على ذلك آيات منها ما يأتي:

الآية الأولى: قال الله تعالى: (وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ)[1].

قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها: أي ولما جاءهم كتاب من عند الله على أفضل الخلق وخاتم الأنبياء، الكتاب المشتمل على تصديق ما معهم من التوراة، وقد علموا به، وتيقنوه على أنهم إذا كان وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب استنصروا بهذا النبي وتوعدوهم بخروجه، وأنهم يقاتلون المشركين معه، فلما جاءهم هذا الكتاب وهذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي عرفوا كفروا به، بغياً وحسداً، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله، وغضب عليهم غضباً بعد غضب لكثرة كفرهم وتوالي شكهم وشركهم[2]

1- الآية 89 من سورة البقرة.

2- تفسير السعدي – ص (55)

وقال الخازن رحمه الله تعالى :(وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّه) يعني القرآن (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ) يعني التوراة، وهذا التصديق في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن نبوته ثابتة في التوراة (وَكَانُواْ) –يعني اليهود- (مِن قَبْلُ) أي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (يَسْتَفْتِحُونَ) أي يستنصرون به (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ) يعني مشركي العرب، وذلك أن اليهود كانوا إذا أحزنهم أمر أو دهمهم عدو يقولون: اللهم أنصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ) أي الذي عرفوه يعني محمداً صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وأنه من غير بني إسرائيل (كَفَرُواْ بِهِ) أي حجدوه وأنكره بغياً وحسداً (فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ)[1].

الآية الثانية: قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ) (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)[2].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: قال الإمام أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى " وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ" الآية: أي أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله تعالى من خفايا علوم اليهود ومكنونات سرائرهم وسرائر أحبارهم، وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم وما حرَّفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة، فأطلع الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم.

فكان ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها إلى هلاكه الحسد والبغي إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التي وصف من غير علم تعلمه من البشر ولا أخذ شيئاً منه عند آدمي، كما قال الضحاك عن ابن عباس: "لقد أنزلنا إليك آيات بينات" يقول: فأنت تتلوه عليهم وتخبرهم به غدْوة وعشية وبين

1- تفسير الخازن 1/ 60

2- الآية 99 / 100 من سورة البقرة.

ذلك وأنتم عندهم أمي لا تقرأ كتاباً وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه، يقول الله لهم في ذلك عبرة وبيان وعليهم حجة لو كانوا يعلمون"

وقال محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال ابن صوريا القطويني لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك آية بينة، فنتبعك، فأنزل الله " وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ".. إلخ.[1]

الآية الثالثة: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً)[2].

سبب نزولها: قال القرطبي رحمه الله تعالى: قال محمد بن إسحاق: كلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار اليهود منهُم عبد الله بن صوريا الأعور، وكعب بن أسد فقال لهم: "يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق" قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، وجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فأنزل الله فيهم هذه الآية.[3]

وقال الخازن رحمه الله : بعد ذكره للسبب السابق: (فأنزل الله هذه الآية وأمرهم بالإيمان وقرن بهذا الأمر الوعيد الشديد فقال تعالى:(مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) روى أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله، فأسلم وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يحَّول وجهي إلى قفاي.[4]

فمن سبب النزول نعلم أن هذه الآية جاءت بهذا الوعيد الشديد وهو طمس الوجوه وتحويلها إلى القفا أو أن يلعنوا – أي يطردوا من رحمة الله- كما لُعن أباؤهم حين اعتدوا في السبت، أقول ما جاء هذا الوعيد إلا لشدة إنكارهم لكتاب الله تعالى وعدم إيمانهم به إلا قلة منهم.

---

1 . تفسير ابن كثير 1/ 133 باختصار

2 . الاية 47 من سورة النساء.

3 . تفسير القرطبي 5/ 244

4 . تفسير الخازن 1/ 386 باختصار

الآية الرابعة: قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[1].

قال القرطبي: (قال ابن عباس: جاء جماعة من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ألست تقرَّ أن التوراة حق من عند الله؟ قال: بلى فقالوا: فإنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها" فنزلت الآية –أي لستم على شيء من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعمل بما يوجبه ذلك منهما[2]، أي من الكتابين.

وقال الطاهر بن عاشور: (والمقصود من الآية: إنما هو إقامة التوراة والإنجيل عند مجيء القرآن بالاعتراف بما فيهما من التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنوا به وبما أنزل عليه، ولقد أومأت هذه الآية إلى توغل اليهود في مجانبة الهدى لأنهم قد عطلوا إقامة التوراة منذ عصور قبل عيسى عليه السلام وعطلوا إقامة الإنجيل إذ أنكروه، وأنكروا ما جاء به، ثم أنكروا نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقيموا ما أنزل إليهم من ربهم، وقد فنَّدت هذه الآية مزاعم اليهود أنهم على التمسك بالتوراة، وكانوا يزعمون أنهم على هدى ما تمسكوا بالتوراة، ولا يتمسكون بغيرها، وهذا واضح من سبب النزول الذي رواه ابن عباس وقد تقدم.

وقوله: (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) أي من أهل الكتاب، وذلك إما بباعث الحسد على مجيء هذا الدين ونزول القرآن ناسخاً لدينهم، وإما بما في بعض آيات القرآن من قوارعهم وتفنيد مزاعمهم.

ولم يزل الكثير منهم –ألى هذا الوقت- إذا ذكروا الإسلام حتى في المباحث التاريخية والمدنية يحتدون على مدنية الإسلام ويقلبون الحقائق ويتميزون غيظاً وتكابراً حتى ترى العالم المشهود له منهم يتصاغر ويتسفل إلى دركات التباله والتجاهل إلا قليلاً ممن اتخذ الإنصاف شعاراً[3].

---

[1] . الآية 68 من سورة المائدة

[2] . تفسير القرطبي (6 / 245).

[3] . التحرير والتنوير 5/ 159 باختصار.

2- اليهود ينافقون بإظهار الإيمان بالقرآن دون أن يؤمنوا حقيقة:

ولليهود موقف آخر من القرآن هو أشد من الأول ألا وهو التظاهر بأنهم آمنوا به وإنما كان ذلك منهم نفاقاً وكيداً على الإسلام والمسلمين، ولهذا ذكر ابن هشام عدوا كبيراً من أحبار اليهود المنافقين وسأذكر هنا بعضاً منهم، فممن أسلم نفاقاً من بني قينقاع: سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيث، ونعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى، وزيد بن اللصيت هو الذي قاتل عمر بن الخطاب في سوق بني قينقاع وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم: يزعم أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته (إن قائلاً يقول يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني عليها، فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها" فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف.

ومن منافقي أحبار اليهود من بني قينقاع: رافع بن حريملة، ورفاعة بن زيد ابن تابوت، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت ريح وهو قافل من غزوة بن المصطلق، فاشتدت حتى أشفق المسلمون منها، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تخافوا، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار" فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رفاعة بني زيد مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح، وسلسة بن برهان وكنانة بن صوريا[1].

3- اليهود يؤمنون بالقرآن ثم يرتدون بنية الصد عن سبيل الله:

ومن مواقف اليهود في تعاملهم مع القرآن الإيمان به أول النهار والكفر به في آخر النهار بنية التلبيس على المسلمين، وقد فضحهم الله في قوله عز وجل: (وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[2].

---

[1] . السيرة النبوية لابن هشام 2/ 148، 149 باختصار.

[2] . الآية 72 من سورة آل عمران.

قال الخازن في تفسيرها: (وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود، وقيل تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد بالقلب ثم اكفروا آخر النهار، وقولوا: نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا، فوجدنا أن محمداً ليس هو المنعوت، وظهر لنا كذبه فإذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد في دينه وأتهموه وقالوا: إنهم أهل الكتاب وأعلم به منا، فيرجعون عن دينهم، فأطلع الله رسوله على ذلك فنزلت الآية[1].

وقال القرطبي: (ومعنى الآية أن اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان لمحمد في أول النهار ثم اكفروا به آخره، فإنكم إن فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه إرتياب في دينه، فيرجعون عن دينه إلى دينكم، ويقولون إن أهل الكتاب أعلم به منا، وقال مقاتل: معناه أنهم جاءوا محمداً صلى الله عليه وسلم أول النهار، ورجعوا من عنده، فقالوا: للسفلة: هو حق فاتبعوه، ثم قالوا: حتى ننظر في التوراة ثم رجعوا في آخر النهار فقالوا: قد نظرنا في التوراة فليس هو به، يقولون إنه ليس بحق وإنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة، و إن يشككوا فيه[2]

خلاصة ما جاء في هذا المبحث:

أن اليهود كان أكبر همهم هو الصد عن الإيمان بالقرآن الكريم وبذلوا في سبيل هذه الغاية وسائل منها ما يأتي:

1- أنهم كفروا بالقرآن الكريم وجاهروا بعداوتهم له وللرسول المنزل عليه صلى الله عليه وسلم.
2- أنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر بالقرآن بنية التجسس على الإسلام والمسلمين كمحاولة لصد الناس عن الإيمان بالقرآن.
3- عزموا على إظهار الإيمان في أول النهار بالقرآن ثم كفروا به في آخر النهار ليقولوا للناس لم نجد في القرآن ولا في محمد صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه منزل من عند الله، ولقد فضحهم الله تعالى قبل تطبيق هذه المحاولة الخبيثة.

---

[1]- تفسير الخازن 1/ 259

[2]- تفسير القرطبي (4/ 111).

خلاصة ما جاء في تعامل اليهود مع الكتب السماوية:

إن هذه التصرفات كلها من الأخلاق السيئة التي تدل على الانحطاط الذي وصلوا إليه في تعاملهم مع الكتب السماوية ابتداء من التوراة وانتهاء بالقرآن الكريم، إذ لم يدخروا وسعاً في تحريف وتبديل ما أُنزل على موسى عليه السلام بل وصلوا حد إنكار أن يكون الله قد أنزل عليه كتاباً، ثم لما أنزل القرآن حاربوه بشتى الوسائل وبذلوا كلما في وسعهم لإطفاء نوره، ولكن الله قد أكمل نوره وأتم نعمته على أهل الإسلام بإكمال الدين والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً على ذلك.

الفصل الرابع

أخلاق اليهود في تعاملهم مع المؤمنين كما هي في القرآن والسنة المطهرة

المبحث الأول: أخلاق اليهود مع المؤمنين ما بين زمانَيْ يوسف وعيسى عليهما السلام.

المبحث الثاني: أخلاق اليهود مع المؤمنين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول

أخلاق اليهود مع المؤمنين ما بين زماني يوسف وعيسى عليهما السلام

في هذا المبحث إن شاء الله سأذكر عدداً من الأخلاق السيئة التي كان يتعامل بها اليهود من المؤمنين في زماني يوسف وعيسى عليهم السلام، وما بين ذلك وقد لا تأتي مرتبة ترتيباً زمنياً وإنما هي بحسب ما وجد من النصُوص سواء كان في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وقبل الشروع في ذلك أقول: لعله تبين من خلال الفصول الثلاثة السابقة أن هؤلاء اليهود لن يتورعوا عن أي خلق قبيح أو عمل سيء مع المؤمنين إن كان ذاك –المتقدم- هو حالهم مع الله ومع أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم، فهل من معتبر؟ والآن أشرع في بيان ما كان من أخلاق اليهود مع المؤمنين، ولعلي أكتفي بثلاثة وقائع سجلها القرآن الكريم وسطرتها السنة المطهرة خشية الإطالة فأقول ومن الله العون والقبول:

أولاً: اليهود يرمون مريم عليها السلام بالزنا

يدل على ذلك قوله تعالى:(وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)[1]، وقوله تعالى: (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)[2].

قال ابن كثير في قوله تعالى: (وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) عن ابن عباس يعني أنهم رموها بالزنا وكذلك قال السدي وغير واحد، وهو ظاهر الآية أنهم رموها وابنها بالعظائم، فجعلوها زانية، وجعلوها حملت ولدها عيسى عليه السلام من الزنا، بل زاد بعضهم أنها زنت وهي حائض عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.[3]

وقال السعدي في قوله تعالى: (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) إلى قوله (أُمُّكِ بَغِيًّا) أي فلما تعلت مريم من نفاسها أتت بعيسى قومها تحمله، وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأتت غير مكترثة ولا مبالية، فقالوا: " لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا" أي

---

1 . الآية 156 من سورة النساء.

2 . الآية 27 /28 من سورة مريم.

3 . تفسير ابن كثير 1/ 419

عظيماً وخيماً وأرادوا بذلك البغاء، حاشاها "يَا أُخْتَ هَارُونَ" الظاهر أنه أخ لها حقيقي، فنسبوها إليه، وكانوا يسمون بأسماء الأنبياء، ولي هو هارون بن عمران أخا موسى، لأن بينهما قروناً كثيرة "مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا" أي لم يكن أبواك إلا صالحين سالمين من الشر، وخصوصاً هذا الشر الذي يشيرون إليه، وقصدهم الزنا فكيف كنت على غير وصفهما؟ وأتيت بما لم يأتيا به، وذلك أن الذرية ـ في الغالب ـ بعضها من بعض في الصلاح وضده فتعجبوا ـ بحسب ما في قلوبهم من كونها زانية . كيف وقع منها ذلك.[1]

ثانيا: اليهود يقتلون الصالحين من المؤمنين

لقد سبق ذكر قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[2].

ففي هذه الآية دلالة واضحة على قتل اليهود لمن يأمر بالقسط من الناس والمراد – كما قال السعدي- القسط هو العدل وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم –أي اليهود- شر مقابلة.... وهذه الحالة نم قتل الأنبياء والصالحين صفة اليهود قبحهم الله ما أجرأهم على الله وعلى أنبيائه وعباده الصالحين[3].

وقال ابن كثير: (قال ابن أبي حاتم –بسنده- عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبياً أو من أمر بمعروف ونهى عن منكر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ.. الآية، قال: يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فامروا من قتلهم –أي قتل الأنبياء- بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً في آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله عز وجل[4].

---

1 . تفسير السعدي 677 بتصرف يسير

2 . الآية 21 من سورة آل عمران.

3 . تفسير السعدي 149 باختصار

4 . تفسير ابن كثير (1/ 355).

قلت: ولا شك أن هؤلاء الذين كانوا يأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر كانوا من العلماء كما يظهر هذا من قصة أصحاب القرية الذين كانوا يعدون في السبت، يدل على ذلك قولهم لمن قالوا لهم: لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً، كان جوابهم (مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[1]، لأن جوابهم هذا يدل على علمهم وإخلاصهم وصبرهم على الدعوة، وخشيتهم لله تعالى وخوفهم من عقابه العام والخاص، فهم يخشون على أنفسهم من العذاب إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدل على ذلك قولهم(مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ) أي لنعذر أمام الله تعالى، ويخشون من نزول عقوبة عامة، يدل عليهم قولهم (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) لأن التقوى تدفع العذاب.

هذه الصفات التي اتصف بها هؤلاء الصالحون من مؤمني بني إسرائيل لم تشفع لهم عند اليهود حتى يُتْركوا ويُعفْوا من القتل، ومن المعلوم أنه من الواجب تجاه العلماء هو التوقير والاحترام وليس التعدي عليهم وقتلهم.... ولكن لا نعجب من صنيع اليهود مع علمائهم إذ هم قتلة الأنبياء عليهم السلام.

ومما يدل من السنة على حب اليهود لسفك الدماء، دون تمييز بين صالح وطالح ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فاتى راهباً فسأله، فقال له: هل له من توبة؟ قال: لا، فقتله –في رواية (فقتله فكمل به المائة)- فجعل يسأل....[2] إلخ، هذا فيه دلالة واضحة على أن هذا القاتل لم يكن يفرق في سفكه للدماء بين الصالح والطالح إذ قتل الراهب، والراهب هو الذي فرغ نفسه للعبادة فلا يخالط الناس، فهل يستحق القتل؟!!

ثالثاً: إيذاء اليهود لأبيهم يعقوب ولأخيهم يوسف بمحاولتهم قتله.

هذه أقدم حادثة في تاريخ اليهود وهي تدل على أن الأخلاق السيئة أمر متاصل فيهم، لقد حاولوا قتل يوسف !!! من الذي حاول إنهم إخوته لأبيه يعقوب عليه

---

1. الآية 164 من سورة الأعراف.

2 . صحيح البخاري رقم (3470) وصحيح مسلم رقم (2766)

السلام، وقصة يوسف مع إخوته مشهورة معلومة، ولكن نذكر هنا الآيات الدالة على سوء صنيعهم مع أخيهم يوسف ومع أبيهم يعقوب عليه السلام،

يقول تعالى: (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ)[1].

خلاصة قصة إخوة يوسف مع يوسف عليه السلام:

قال الخازن: (قال وهب وغيره من أهل السير والأخبار: إن إخوة يوسف قالوا له: أما تشتاق أن تخرج معنا إلى مواشينا، فنصيد ونستبق، قال: بلى، قالوا له: أنسأل أباك أن يرسلك معنا، قال يوسف: افعلوا، فدخلوا بجماعتهم على يعقوب، فقالوا: يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا إلى مواشينا، فقال يعقوب: ما تقول يا بني؟ قال: [نعم يا أبت إني أرى من إخوتي اللين واللطف، فأحب أن تأذن لي]، وكان يعقوب يكره مفارقته، ويحب مرضاته فأذن له، وأرسله معهم، فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم، ويعقوب ينظر إليهم، فلما بعدوا عنه وصاروا إلى الصحراء، وألقوه على الأرض وأظهروا له ما في نفوسهم من العداوة وأغلظوا له القول، وجعلوا يضربونه، فجعل كلما استغاث بواحد منهم ضربه، فلما فطن لما عزموا عليه من قتله، جعل ينادي: يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من إخوته لأحزنك ذلك وأبكاك، يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك، وجعل يبكي بكاء شديداً، فأخذه روبيل وجلد به الأرض وجثم على صدره يريد قتله، فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له: اتق الله فِيَّ وحُلْ بيني وبين من يريد

1 . الآية 7 إلى الآية 15 من سورة يوسف.

قتلي، فأدركته رحمة الأخوة ورقَّ له، فقال يهوذا يا أخوتي ما على هذا عاهدتموني، ألا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به، فقالوا: وما هو؟ قال: تلقونه في هذا الجب إما أنْ يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به إلى بئر هناك على غير الطريق واسع الأسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه في البئر، فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا أخوتاه ردوا عليَّ قميصه لأستتر به في الجب؟ فقالوا له: ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك[1].

قلت:هذا خلاصة المشهد الذي حصل فيه إيذاء إخوة يوسف ليوسف عليه السلام وفي الحقيقة قد وقع إخوة يوسف في عدد من الجرائم بهذا التصرف أعني إلقاء أخاهم يوسف في الجب، فهم بذلك قطعوا الرحم التي بينهم وبينه وعقوا أباهم ولم يرحموا شيخوخته ولم يحترموا نبوته ولم يوقروا أبوَّته لهم وليوسف عليه السلام، و السبب في ذلك كله هو الحسر، و بهذا يكون إخوة يوسف عليهم السلام جمعوا بين الكبائر الظاهرة و الكبائر الباطنة،

فهذا من الإيذاء الذي كان في تلك الفترة الزمنية وهو كاف في إقامة الدليل على إيذاء اليهود للمؤمنين، والله أعلم.

1 . تفسير الخازن 2/ 516 باختصار

المبحث الثاني

أخلاق اليهود مع المؤمنين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم

إن تعامل اليهود مع المؤمنين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بأحسن حالاً من تعاملهم مع سائر المؤمنين عبر التاريخ كما سبق ذكره من خلال الآيات في المبحث السابق، وإن الأبناء على خطى آبائهم وأجدادهم السابقين بل لعل هؤلاء أشد وطأه على المسلمين، مع علمهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم على الحق وأتباعه من الصحابة ومن يأتي بعدهم على الحق، ولكنها الأخلاق التي تأصلت فيهم، الكذب والخيانة والكيد ضد الإسلام والمسلمين (يريدون ليطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).

ولهذا أحببت أن أذكر في هذا المبحث بعضاً من الإساءات التي لقيها الصحابة رضي الله عنهم من اليهود الذين آكلوهم وشاربوهم حيناً من الدهر في المدينة فلما جاء الإسلام قلبوا لهم ظهر المجن ولبسوا لهم جلد النمر كأن لم تكن بينهم مودة، ولكن الله غالب على أمره، فإلى بيان شيئاً من مخازي اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة، من خلال بعض الآيات القرآنية والآثار التي تعالج هذا الموضوع:

أولاً: محاولة اليهود لإثارة الفتنة بين الصحابة: يقول الله عز وجل: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)[1].

وسبب نزول هذه الآيات: عن زيد بن أسلم قال: "مر شاس بن قيس اليهودي، وكان شيخاً قد غبر في الجاهلية عظيم الكفر شديد العنف على المسلمين، شديد الحسد لهم، فمر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة –يعني الأنصار- بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا

1 . الآيات (99-101) من سورة آل عمران.

اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه، فقال: أعمد إليهم فأجلس معهم، ثم ذكرهم بيوم بعاث وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما تقاولوا فيه من الأشعار، وكان بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل . أي جاء ذلك الشاب وجلس معهم، وذكرهم بلأشعار. فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيَّين: أوس بن قيظى من الأوس، وجابر بن صخر أحد بن سلمة من الخزرج فتقاولا، وقال أحدهما لصاحبه، إن شئت رددتها جذعاً، وغضب الفريقان جميعاً، وقال إرجعا السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة . وهي حرة . فخرجوا إليها فانضمت الأوس و الخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين، أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا وتعانقوا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، فأنزل الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ" أي الأوس والخزرج (إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ" يعني شاس بن قيس وأصحابه " يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)[1]

... لعل سبب نزول الآية يبين حرص اليهود على إثارة الفتنة بين المسلمين لإضعافهم وإشغالهم بأمور تافهة عن المهمة التي يجب أن يقوموا بها من الدعوة إلى الله، وإصلاح المجتمعات وغير ذلك، ولست في حاجة إلى الإطالة بتفسيرها فهي واضحة.

ثانياً: تأليب اليهود كفار قريش ضد الصحابة رضي الله عنهم:

لقد سبق وأن ذكرنا أن اليهود نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتاله وذلك في إجلاء قبائلهم الثلاثة، وسنذكر هاهنا أنه كان يقوم الفرد منهم بلا سبب يؤلب كفار قريش على قتال المسلمين هذا والله هو الحقد والحسد، وهذه حادثة أذكرها هنا لبيان الأذى الذي كان يقوم به اليهود ضد أصحاب النبي

---

1 . تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول –تصنيف خالد عبد الرحمن البيك– دار المعرفة –بيروت– الطبعة الأولى 1998 ص (77، 78).

صلى الله عليه وسلم ألا وهي قصة كعب بن الأشرف اليهودي و هو حبر ثري من أحبار اليهود .

يقول المفسرون: خرج كعب بن الأشرف راكباً في سبعين من اليهود إلى مكة بعد غزوة أحد، ليحالفوا قريشاً على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فنزل كعب على أبي سفيان، و نزلت اليهود دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صحاب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكر منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل، فذلك قوله تعالى: (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)[1]، ثم قال كعب لأهل مكة: ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون، فلنزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد، ففعلوا ذلك، فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب: إنك أمرؤ تقرأ الكتاب وتعلم، ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقاً وأقرب إلى أحق أنحن أم محمد؟ فقال كعب: اعرضوا عليَّ دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الكوماء - نوع من الإبل - ونسقيهم الماء، ونقرى الضيف ونفك العاني - الأسير - ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا، ونطوف به، ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم، وفارق الحرم، ودیننا القديم ودين محمد الحديث، فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلاً مما هو عليه[2]، فأنزل الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً).

ولكعب هذا موقف آخر كان بعد غزوة بدر وهو أنه لما أصيب المشركون في بدر، وقبل رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعث رجلين ليبشرا المسلمين بالمدينة بقتل من قُتل من المشركين، فلما سمع كعب بن الأشرف بهذا قال: أترون أنَّ محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان، فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها. فلما تيقن الخبر، خرج حتى أتى مكة، فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وجعل

---

1. الآية 51 من سورة النساء.
2. تسهيل الوصول – ص (102، 103) والتحرير والتنوير (4/ 156)

يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين، وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر، لإثارة حمية قريش على حرب المسلمين، ولم يكتف بهذا بل رجع المدينة، وشيب نساء المسلمين حتى آذاهم[1].

ثالثاً: اليهود يتحالفون مع المنافقين ضد الصحابة رضي الله عنهم:

من أبرز أخلاق اليهود الغدر، ونقض العهد، وقد سبق ذكر شيء من غدرهم في الفصل الأول من هذا البحث، وما سأذكره هنا هو أعظم من الغدر إذ جمع يهود بني النضير بين الغدر والتحالف مع المنافقين، فقد ذكر أهل التفسير قصتهم تلك في أول سورة الحشر وسأذكرهاهنا باختصار:

قال المفسرون: نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبلمنهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كانت غزوة أحد أظهروا العداوة للمسلمين ونقضوا العهد الذي كان بينهم، وحالفوا كفار قريش والمنافقين لقتال المسلمين.

روى أبو داود في سننه بسنده عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما خلاصته: "كتبت كفار قريش إلى اليهود بعد وقعة بدر، إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن ولنفعلن، فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم: أخرج إلينا ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج لك ثلاثين حبراً حتى نلتقي في مكان كذا وكذا، نَصَفٌ بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإذا صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً حتى إذا برزوا في براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب الموت قبله؟ فأرسلوا إليه كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتمل اليهود على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله

---

1 . السيرة النبوية –لابن هشام (3/ 47- 49)

عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة إلى أخيها - وهو رجل مسلم من الأنصار. فأخبرته خبر ما أرادت اليهود من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج أخوها سريعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسار بخبرهم قبل أن يصل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فرجع عليه الصلاة والسلام[1] ونبذا إليهم عهدهم وقال لهم أخرجوا من المدينة وقالوا: الموت أقرب إلينا،رسول لهم ثم إن المنفقين، عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم أن تخرجوا من الحصين - جمع حصن - فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم لئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها[2]، فشد ذلك من عزم اليهود على الغدر وعد الخروج من المدينة، وفي ذلك يقول الله تعالى: (أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)[3].

قال ابن كثير رحمه الله : (يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأحزابه حيث بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال الله تعالى: {أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ).

فهذا من أقوى الشواهد على تحالف اليهود مع المنافقين بل لقد كانت هناك مودة ومحبة على المستوى الشخصي يدل على ذلك ما حصل من اليهود عندما أوشك رأس النفاق عبد الله بن أبي على مفارقة الحياة إذ أحاط اليهود بسريره، وأخذوا يبكون وينتحبون، فغضب لذلك ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي، وأراد أن يطردهم فقال له أبوه: دعهم فإن قربهم مني يشفي صدري، فقال له اليهود: يا عبد الله نود أن نفديك بأموالنا ودمائنا، فلما مات أرادوا دفنه فمنعوا من ذلك، وبعد دفنه أخذ اليهود ينثرون التراب على رؤوسهم من شدة حزنهم عليه[4].

الخلاصة: لقد تعامل اليهود مع المؤمنين في مختلف العصور أسوأ معاملة وبأقبح الأخلاق وأسوئها، إذ لا يوجد أسوأ من التجرؤ على قتل مؤمن بغير جرم ارتكبه، ومع

---

1 . سنن أبي داود- في كتابي الخراج والأمارة رقم 3004 .

2 . تفسير الخازن (272/4 / 273) و غيره من كتب التفسير كالقرطبي و ابن كثير في أول سورة الحشر.

3 . الآية 11 من سورة الحشر.

4 . بنو إسرائيل في القرآن والسنة – ص 240 (بتصرف).

ذلك أقدم اليهود على قتل بعض المؤمنين بل الصالحين من المؤمنين... هذا فضلاً عن انتهاك الأعراض وتدبير المكائد ضدهم، ومن فعل هذا مع أنبياء الله ورسله فإنه يهون عليه مع المؤمنين، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. والله أعلم.

الفصل الخامس
طائفة من أخلاق اليهود النفسية

المبحث الأول: البخل والجشع.
المبحث الثاني: الحسد والحقد.
المبحث الثالث: النفاق والمداهنة.
المبحث الرابع: التكبر والغرور.
المبحث الخامس: الجبن من مقاتلة أعداء.

المبحث الأول

البخل والجشع

إن من صفات اليهود التي اشتهروا وعرفوا بها البخل والجشع وكل واحدة منها شر من الأخرى، لأنهما تؤديان أحياناً إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات بل وقد يؤدي البخل إلى ضياع الدين والكفر برب العالمين ولهذا قال الله تعالى: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[1].

ولقد سجل الله تعالى في كتابه ما اتصف به اليهود من البخل والجشع تحذيراً للمؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من الصفات الذميمة، وسأتكلم عن هذين الخلقين على حسب ما ورد في الآيات والأحاديث باختصار:

أولاً: الجشع:

وهو ناتج عن شدة حرص اليهود على الحياة وقد دل على ذلك قول الله تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)[2].

يقول السعدي رحمه الله تعالى: (وهم - اليهود - أحرص على الحياة من كل أحد من الناس حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بأحد من الرسل والكتب، ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال: "يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ" وهذا أبلغ ما يكون من الحرص)[3].

وقال الخازن رحمه الله تعالى: (فإن قلت: الذين أشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله "أحرص الناس" فلم أفردهم بالذكر؟ قلت: أفردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لأن الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقاً بالتوبيخ العظيم[4].

---

1. الآية 9 من سورة الحشر.
2. الآية 96 من سورة البقرة.
3. تفسير السعدي (56 / 57).
4. تفسير الخازن (1 / 61) باختصار.

ومما يدل على جشع اليهود وحرصهم على الحياة الدنيا ما حصل منهم مع بعض الصحابة من مواقف مخجلة نذكر منها هذين الموقفين:

أحدهما: روى البخاري[1] في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كان بالمدينة يهودي وكان يسلفني في ثمري إلى الجذاذ –أي الحصاد- فجلست الأرض فخلا النخل عاماً، فجاءني اليهودي عند الجذاذ، ولم أجذَّ منها شيئاً، فجعلت استنظره –أي يطلب منه التأخير- إلى قابل فيأبى، فأُخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لأصحابه: (امشوا نستنظر لجابر من اليهودي)، فجاءوني في نخلي، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكلم اليهودي، فيقول: أبا القاسم لا أُنظِرْه، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه، قام فطاف في النخل ثم جاءه فكلمه فأبى، فقمت فجئت بقليل من الرطب فوضعته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأكل، ثم قال: أين عريشك يا جابر؟ فأخبرته، فقال: افرش لي فيه، ففرشته فدخل فرقد ثم استيقظ، فجئته بقبضة أخرى، فأكل منها ثم قام فكلم اليهودي فأبى عليه، فقام في النخلة الثانية، ثم قال: يا جابر، جذ واقض، فوقف في الجذاذ، فجذذت منها ما قضيته، وفضل منه، فخرجت حتى جئت النبي صلى الله عليه وسلم، فبشرته، فقال أشهد أني رسول الله؟

قلت: انظر إلى هذا اليهودي يطلب منه أمين أهل السماء والأرض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤجل دين جابر فلا يقبل منه ذلك، فكيف لو طلب منه ماهو أكبر من ذلك كإسقاط جزء من الدين مثلاً ؟ فهذا إن دل فإنما يدل على شدة حرصه وعلى جشعه.

الثاني: روى أحمد في مسنده والطبراني في الصغير والأوسط عن ابن أبي حدود الاسلمي أنه كان ليهودي عليه أربعة دراهم، فاستعدى عليه، فقال: يا محمد إن لي على هذا أربعة دراهم، وقد غلبني عليها، قال: أعطه حقه، قال: والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها، قال: أعطه حقه، وقال: الذي بعثك بالحق لا أقدر عليها، قد أخبرته أنك تبعثنا إلى خيبر فأرجو أن تُغْنِمَنا شيئاً فأرجع فأقضه، قال: أعطه حقه، قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال ثلاثاً لم يراجع، فخرج به ابن أبي حدود إلى

---

1. صحيح البخاري رقم (5443)

السوق وعلى رأسه عصابة وهو متزر ببردة، فنزع العمامة عن رأسه فأتزر بها، ونزع البردة، فقال: اشتر مني هذه البردة، فباعها منه بأربعة دراهم، فمرت عجوز فقالت مالك يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها، فقالت: ها دونك هذا البرد، لبرد طرحته عليه[1].

ثانياً: البخل : وهو منع الحق الواجب، وقد دل على بخل اليهود قوله تعالى:{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)[2].

قال الخازن: (قال ابن عباس: نزلت في كروم بن زيد، ويحيى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع ويحيى بن يعمر -هؤلاء كلهم يهود- وكانوا يأتون رجالاً من الأنصار ويخاطبونهم يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم، فإنَّا نخشى عليكم الفقر، ولا تدرون ما يكون، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم، ومنع المال، لأن البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وإمساك المقتنيات، وفي الشرع البخل: عبارة عن إمساك الواجب ومنعه، وإذا كان ذلك فأمكن حمله على منع المال ومنع العلم.

قوله تعالى: (وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ) يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وما عندهم من العلم، وقيل: هم الأغنياء كتموا الغنى وأظهروا الفقر، وبخلوا بالمال، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق]. أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب[3].

ومما يدل على بخل اليهود وجشعهم ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن ثلاثة في بني إسرائيل

---

1. اليهود في السنة المطهرة (2 / 487).
2. الآية 37 من سورة النساء.
3. تفسير الخازن (1 / 375).

أبرص وأقرع وأعمى بدا لله)[1] عز وجل أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال: فمسحه، فذهب عنه، فاعطى لوناً حسنا وجلداً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك، قال: البقر... والحديث طويل مشهور جاء في آخره: فأنتج لهذا ووَّلد هذان، فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم، ثم إنه –أي الملك- أتى الأبرص في صورته وهيئته –عندما كان أبرص- فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال له: الحقوق كثيرة، قال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، وهكذا كان شأن الملك مع صاحب البقر وكان جوابه له كصاحب الإبل، وأما صاحب الغنم فقال له: قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيراً فأغناني الله، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال له الملك: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك وسخط عن صاحبيك[2].

فهذا الموقف من الأقرع والأبرص يدل على البخل ونكران الجميل في آن واحد، ولعل في هذا الأثر والذي قبله ما يكفي للدلالة على اتصاف اليهود بهذه الخصلة الذميمة... والله أعلم.

وأخيراً قد وصف الله تعالى اليهود بأشد البخل وأقبحه حيث قال جل جلاله: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا)[3].

قال الخازن: قوله تعالى: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ) هذا استفهام استنكاري، يعني ليس لهم من الملك شيء البتة، وذلك أن اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة من العرب، فكيف نتبعهم، فأكذبهم الله تعالى وأبطل دعواهم (فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا) هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره، ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيراً فوصفهم الله بالبخل في هذه الآية ووصفهم

---

1. بدا لله: أي سبق في علمه فأراد إظهاره، و في رواية (أراد الله أن يبتليهم) نقلا عن هامش اليهود في السنة المطهرة (489/2).

2. البخاري رقم (3464) ومسلم رقم (2964).

3. الآية 53 من سورة النساء.

بالجهل في الآية السابقة (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً)[1] ووصفهم بالحسد في الآية الآتية(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) وهذه سيأتي تفسيرها[2].

لعلك أخي الكريم قد اتضح لك بجلاء مدى ما وصل إليه اليهود من البخل والشح ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الشح وهو أشد البخل وقال:(إياكم والشح؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالشح: أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا) رواه أبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة .

1. الآية 51 من سورة النساء.

2 . الخازن (1/ 389) بتصرف يسير

المبحث الثاني

الحسد والحقد

إن من أقبح الصفات التي يتصف بها إنسان أن يحسد أخاه الإنسان على فضل أعطاه الله تعالى إياه، ولقد كان الحسد والحقد من أبرز صفات اليهود النفسية ودل على ذلك آيات من الكتاب وآثار من السنة فإلى بيانها بعون الله تعالى:

أولاً : قال الله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1].

قال الخازن رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية في نفر من اليهود، وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هربتم فارجعا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلاً منكم، فقال عمار بن ياسر: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: إني عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت، قالت اليهود: أما هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: أما أنا فقد رضيت الله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخواناً، ثم إنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك، فقال: أحسنتما الخير وأفلحتما فأنزل الله الآية، قوله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أي تمنى كثير من اليهود (لَوْ يَرُدُّونَكُم) يا معشر المؤمنين (مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً) أي ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر {حسداً} أي يحسدونكم حسداً، وأصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحقها، وربما يكون مع ذلك سعي لإزالتها[2].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: (يُحذّر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكافرين من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، قال محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال: [كان حيي بن أخطب وأبو ياسر ابن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً إذ خصهم الله برسوله

---

1. الاية 109 من سورة البقرة.

2. تفسير الخازن (1/ 70) باختصار

صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد عن الناس الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) الآية، قوله تعالى: (كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) يقول من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئاً، ولكن حملهم الحسد على الجحود فغيرهم الله تعالى ووبخهم ولا مهم أشد الملامة[1].

ثانياً: قوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا)[2].

قال النسفي رحمه الله تعالى : (ثم وصف الله اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال، يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم.... قوله تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، جاء الاستفهام للدلالة على إنكار الحسد واستقباحه وكان اليهود يحسدون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز، والتقدم كل يوم.

قوله تعالى (فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ) يعني بالكتاب التوراة وبالملك ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام، وهذا إلزام لليهود بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتين الله مثل ما أوتى أسلافه[3].

ثالثاً: روى ابن ماجه في سننه بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على آمين، فأكثروا قول آمين][4].

رابعاً: روى الإمام أحمد وابن خزيمة في صحيحه عن عائشة قالت: "بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ استأذن رجل من اليهود، فأذن له فقال: السام عليك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وعليك، قالت: فهممت أن أتكلم، قالت: ثم دخل الثانية، فقال مثل ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وعليك، ثم دخل الثالثة، فقال: السام عليك، قالت: فقلت: بل السام عليكم وغضب الله إخوان

---

1. تفسير ابن كثير (1 / 153) باختصار.
2. الآية 54 من سورة النساء.
3. تفسير النسفي (1 / 365 . 366) بتصرف يسير.
4. سنن ابن ماجه رقم (857).

القردة والخنازير، أتحيون رسول صلى الله عليه وسلم، بما لم يحيه به الله، قالت: فنظر إليَّ وقال (إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، قالوا قولاً فرددناه عليهم، فلم يضرنا شيئاً، ولزمهم إلى يوم القيامة، إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وصلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين)[1].

وقد ذكر الهيثمي عن معاذ بن جبل قصة مشابهة لكن في آخرها: "إن اليهود قوم سئموا دينهم، وهم قوم حسد، ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث: رد السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة آمين. ثم قال رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن[2].

إن هذه النصوص وما شاكلها مما لم نثبته هنا لتدل دلالة واضحة على الحسد الذي ملأ قلوب اليهود تجاه المسلمين وقد تحول الحسد عندهم إلى حقد، لأن الحسد إذا تجاوز عن كونه شيئاً يختلج في الصدر ألى شدة الحقد و الكراهية للمحسود أو المحقود عليه، ولست في حاجة إلى إطالة هذا المبحث بنقل النصوص الدالة على كراهية اليهود للمسلمين والحقد عليهم لأنه قد سبق في الفصلين الأول و الثاني شيء من مكائدهم ضد الإسلام والمسلمين إذ كل ما ذكر من نقضهم للعهود ومحاولتهم لقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتحالفهم مع المشركين والمنافقين ليدل دلالة واضحة على حقدهم وكراهيتهم للإسلام وللمسلمين. والله أعلم.

---

1. مسند الإمام أحمد (6/ 134) وصحيح ابن خزيمة (1/ 388) رقم 574

2. نقلاً من كتاب اليهود في القرآن والسنة المطهرة – د. محمد اديب الصالح –(484/2)

المبحث الثالث

النفاق والمداهنة

لقد قدمنا في الفصل السابق في مبحث أخلاق اليهود مع القرآن الكريم أن من الأخلاق التي تخلقوا بها لمحو نور القرآن أنهم أظهروا الإيمان به وأبطنوا الكفر نفاقاً، وذكرنا هناك بعض أسماء المنافقين من يهود بني قينقاع وغيرهم، وسأذكر هنا ما يدل على نفاقهم من القرآن بحسب ما يقتضيه المقام، ثم أعرّج على ما كان منهم من المداهنة وهي المجاملة في الباطل ومسايرة الواقع بحسب المصلحة دون الرجوع إلى الحق ولا شك أن ذلك لون من ألوان النفاق لا يرضاه أصحاب المروءات فضلاً عن أهل الديانة الذين يجب أن يستمسكوا بالحق، والآن إليك النصوص الدالة على ذلك:

أولاً: قوله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)[1].

قبل نقل كلام المفسرين في هذه الآية أقول: (لم تكن العرب تعرف النفاق بل أنقسموا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى طائفتين: طائفة آمنت به وصدقته وصبرت على ما أصابها من الأذى، حتى تركوا الأوطان في سبيل دينهم وهؤلاء هم أجلاء الصحابة من المهاجرين، وطائفة أخرى: كفرت بالله وآذت من آمن برسوله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم كفار قريش، ثم لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بحسب ما كان من اتفاق بينه وبين الأنصار المخلصين في إيمانهم وبيعتهم، إلا أنه كان من أهل المدينة أناس لا يرغبون في الإسلام ولا في نصرة من هاجر إلى المدينة من المهاجرين وكانت ثلة لا تستطيع أن تجهر بالعداوة فأبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام نفاقاً، وكما قلت لم تكن العرب تعرف النفاق ولكنهم تعلموا ذلك من اليهود المجاورين لهم).

قال الخازن: قوله عز وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ) نزلت في المنافقين: عبد الله ابن أبي سلول، ومعبث بن قيشير، وجد بن قيس وأصحابهم، وذلك أنهم أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه

1. الآية 7 من سورة البقرة.

وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود، وصفة المنافق: أن يعترف بلسانه بالإيمان ويقر به، وينكره بقلبه، ويصبح على حال ويمسي على غيرها[1].

وقال ابن كثير: النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر وهو أنواع: اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب، وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لأن مكة لم يكن فيها نفاق، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج وبها اليهود من أهل الكتاب و كانوا على طريقة أسلافهم وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقلَّ من أسلم من اليهود، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً لأنه لم يكن للمسلمين بعدُ شوكة تُخاف بل كان عليه الصلاة والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر، قال عبد الله بن أبي بن سلول: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب[2].

ثانياً: قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)[3]

وقال ابن كثير: (يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود عليه السلام وعلى لسان عيسى ابن مريم عليه السلام بسبب عصيانهم لله، واعتدائهم على خلقه، قال العوفي عن ابن عباس: لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور في الفرقان ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال تعالى: (كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) أي كان أحد لا ينهى منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك، وقال الإمام أحمد –

---

1. تفسير الخازن (1 / 26).

2. تفسير ابن كثير (1 / 45 .46) باختصار.

3. الآية 78 / 79 من سورة المائدة.

بسنده- عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم –وأحسبه قال: في أسواقهم- وأكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون).

وعند أبي داود و الترمذي[1] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} إلى قوله فاسقون[2].

لا شك أن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للآية قد أوضح ما كان عليه اليهود من المداهنة على الباطل وعدم الجدية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جاء وصف اليهود بالمداهنة صريحاً في رواية الطبراني في الأوسط كما ذكره الهيثمي في المجمع عن حذيفة قال:"قلت يا رسول الله: متى يُترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما سيدا أهل البر؟ قال: إذا أصابكم ما أصاب بني إسرائيل، قلت: يا رسول الله وما أصاب بني إسرائيل؟ قال: "إذا داهن خياركم فجاركم، وصار الفقه في شراركم، وصار الملك في صغاركم، فعند ذلك تلبسكم الفتنة تكرّون وُيكرَّ عليكم[3]. ولا يقوم بالمداهنة إلا إنسان يلهث وراء مصالحه دون التفات إلى مبادئ أو إلى دين أو خلق، ولم تضيع الحقوق إلا بالمداهنة بل ما ضاعت الأخلاق من كثير من الأمم إلا عندما انتشرت المداهنة بينهم، وهذا من أبرز ما تخلق به اليهود إلى يومنا هذا... والله أعلم.

---

1. سنن أبي داود 4 / 508 برقم و سنن الترمذي برقم 3050.
2. تفسير ابن كثير (2 / 78 . 79).
3. اليهود في القرآن والسنة– تأليف د. محمد اديب الصالح(2/ 478).

المبحث الرابع
التكبر والغرور

إن استعلاء اليهود على البشر من الأمور التي ظهرت وانتشرت وهو من مصادر فخرهم –حسبما يظنون- ولقد بلغ بهم التكبر والغرور مبلغه حيث ظنوا أنهم فوق الالتزام بشرع الله أو الخضوع لأمره، وهذا الأمر كما يرى اليوم واضحاً في تعامل اليهود مع سائر الناس فقد كان كذلك في السابق وعبر تاريخ اليهودية الطويل حيث ظهر منهم الاستعلاء على البشر وعدم الخضوع لأمر الشرع في مواقف كثيرة لعله قد مضى ذكر بعضها في الفصول السابقة.... كيف كانوا يتعاملون مع الله تعالى، كفر وتعدى على ذات الله جل جلاله –اتهامه بالفقر والبخل- تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- وفي تعاملهم مع الأنبياء والرسل عن عدم انصياع لأوامرهم وإساءة الظن بهم بل التجرؤ الذي وصل إلى حد القتل (أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)[1].

لقد بينت الآية أن التجرؤ على قتل الأنبياء له سببان هما: الاستكبار، واتباع الهوى، فحينما يكون الأمر الصادر إليهم من نبيهم مخالفاً لهواهم استعلوا واستكبروا عليه وقاموا بقتله أو تكذيبه استمراراً منهم في الغي والضلال.

ولعلك أخي القارئ بالرجوع إلى بعض صفحات هذا البحث تجد رائحة الغرور والتكبر تفوح من جميع تصرفات اليهود، ولكن ها هنا سأذكر بعضاً من النصوص الدالة على هذا الخلق الذميم الذي امتاز به اليهود على غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى بل وعلى من لا دين له، أعاذنا الله من ذلك كله بفضله وكرمه، والآن إليك تلك النصوص مع ذكر تفسيرها:

أولاً: قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[2].

---

1. الآية 87 من سورة البقرة.

1. الآية 18 من سورة المائدة.

ورد في سبب نزولها عن ابن عباس قال: "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن قصي وبحر بن عمر وشاس بن عدي ــ وكلهم من اليهود ــ أتى وكلمهم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه، فأنزل الله فيهم: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)، وروى عنه قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد كنتم تذكرونه لنا بصفته، فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا، ما قلنا لكم هذا، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده، فانزل الله: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ)[2]

ومعنى الآية الكريمة: وقالت طائفة اليهود التي تزعم أنهم شعب الله المختارة نحن أبناء الله وأحباؤه، فلنا من الفضل والمنزلة والتكريم ما ليس لغيرنا من البشر، قل يا محمد –صلى الله عليه وسلم- لهؤلاء اليهود –الكذبة-إن كنتم كما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه فلأي شيء يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر كسائر البشر من خلق الله، لا مزيد لكم على غيركم ولا فضل.

ثم إن جمهور المفسرين على أن قولهم "نحن أبناء الله" أن المراد بها النبوة الحقيقية فقد نقل اليهود عن كتاب الله أنه قال لعبده إسرائيل "أنت ابنى بكري" فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه، وقد رد غير واحد من عقلائهم ممن أسلم وقالوا: هذا عندهم يحمل على التشريف والأكرام.

وعلى كل فمراد اليهود من هذا القول أنهم يرون أنفسهم أن لهم فضلاً على سائر البشر، وأنهم لهم صلة بالله تعالى تزيد عن صلة غيرهم به، وأنهم وحدهم هم أهل القرب منه[1] .

---

2. تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول (128)

1. بنو إسرائيل في القرآن والسنة (578، 579) باختصار

ثانياً: قال الله تعالى:{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[1].

قال الخازن في تفسيرها: (الآية نزلت في اليهود، أخبر الله عز وجل أن فيهم أمانة وخيانة، وقسمهم قسمين، والقنطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل، يقول: منهم من يؤد الأمانة وإن كثرت مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ومنهم من لا يؤديها وإن قلت، وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الأشرف وأصحابه، قال ابن عباس في هذه الآية: أودع رجل من قريش عبد الله بن سلام ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه وذلك قوله تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) وأما قوله (وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا) يعني فنخاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه وجحده ولم يؤده إليه, وقيل أهل الأمانة: هم النصارى، وأهل الخيانة هم اليهود، لأن مذهبهم أن يحل قتل من خالفهم في أمر الدين وأخذ ماله بأي طريق كان.

قوله تعالى "ذلك" أي سبب ذلك الاستحلال والخيانة "بأنهم قالوا" يعني اليهود، "ليس علينا في الأمين سبيل" يعني أنهم يقولون ليس علينا إثم ولا حرج في أخذ مال العرب، وذلك أن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا، أنهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم.

وقيل: إن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا، فكذبهم الله تعالى بقوله (وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[2]

وقال ابن عاشور في قول اليهود: (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ) قصدهم بذلك أن يحقروا المسلمين ويتطاولوا بما أوتوا من معرفة القراءة والكتابة من قبلهم أو أرادوا الأميين بمعرفة التوراة، أي الجاهلين: كناية عن كونهم ليسوا على دين موسى عليه السلام.

---

[1] . الآية 75 من سورة آل عمران.

[2] . تفسير الخازن (1/ 260-261) باختصار.

وعلى أي حال فهذا ينبئ عن خُلُق عجيب من أخلاق اليهود وهو اسخفافهم بحقوق المخالفين لهم في الدين، واستباحة ظلمهم مع اعتقادهم أن الجاهل أو الأمي جدير بأن يدحض حقه، وعن الكلبي: قالت اليهود: الأموال كلها كانت لنا غما في أيدي العرب منها فهو لنا، وإنهم ظلمونا وغصبونا فلا إثم علينا في أخذ أموالنا منهم[1].

1. التحرير والتنوير (3/ 134) باختصار.

المبحث الخامس

الجبن عن مقاتلة الأعداء

إن الجبن من الصفات النفسية الثابتة لليهود، و قد ظهر جبنهم في عدة موافق، سواء كان في زمان موسى عليه السلام أو بعده و إلى عصر النبي الله عليه و سلم، و سأذكر هنا الآيات و الآثار الدالة على جبن اليهود بعون الملك المعبود.

أولاً: قال الله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)[1].

جاءت هذه الآية في ثنايا الآيات التي ذكرت قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام عندما طلب منهم الدخول إلى الأرض المقدسة فبعد أن قال لهم موسى (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)[2] أجابوه بهذا الجواب الذي يدل على خوفهم و جبنهم بل و على نكولهم عد الجهاد خلف موسى عليه السلام، يقول السعدي في تفسير قوله تعالى (وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا) و هذا من الجبن و قلة اليقين و إلا فلو كان معهم رشدهم لعلموا أنعم كلهم من بني آدم و أن قويٌّ من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه لا حول و لا قوة إلا بالله[3].

وقال ابن كثير في تفسيرها: أي اعتذروا بأن البلدة التي أمرتنا بدخولها و قتال أهلها قوماً جبارين أي ذوى خلقة هائلة و قوى شديدة، و إننا لا تقدر على مقاومتهم، و مصاولتهم و لايمكننا الدخول إليها ما داموا فيها فإن يخرجوا منها دخلناها و إلا فلا طاقة لنا بهم[4].

وأصروا على موقفهم بعدما قام رجلان من صالحيهم فذكروهم بالتوكل على الله في هذا الأمر و بنصرة الله لهم (قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ

---

1 . الآية 22 من سورة المائدة.

2 . الآية 21 من سورة المائدة.

3 . تفسير السعدي (290).

4 . تفسير ابن كثير (2 / 37).

مُؤْمِنِينَ)[1] و لكن للأسف كان جواب هؤلاء اليهود لموسى عليه السلام و لهؤلاء الناصحين أقبح من الأول مما يدل على جبنهم و خورهم، إذ (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)[2].

قال ابن كثير: و هذا نكول منهم عن الجهاد و مخالفتهم لأمر رسولهم و تخلف عن مقاتلة الأعداء، و يقال: أنهم لما نكلوا عن الجهاد و عزموا على الانصراف إلى مصر سجد موسى و هارون عليهما السلام قدام ملإ بني إسرائيل إعظاماً لما هموا به[3].

قلت: فانظر إلى هذا الجبن الذي ما سمع التاريخ بمثله، لأنهم كانوا قد عاينوا كيف نصرهم الله على فرعون و نجاهم من الغرق و من الأعداء و لكن لقلت يقينهم و توكلهم على الله جبنوا عن دخول الأرض المقدسة.

ثانياً: قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[4].

هذه الآية تحكى لنا موقفاً آخر بعد زمان موسى عليه السلام، مما يدل على جبنهم، ملخص قصته كما ذكرها السعدي: يقص تعالى على نبيه قصه الملأ من بني إسرائيل، و هم الأشراف و الرؤساء، و قد أتو إلى نبي لهم بعد موسى عليه السلام فقالوا له (ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ليجتمع متفرقنا و يقاتل عدونا، و كانت أنبياء بني إسرائيل تسوسهم كلما مات نبي خلفه نبي، و قد أتو إلى نبي لهم مع موسى عليه السلام فقالوا له (ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) ، فلما قالوا ذلك قال لهم (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا) (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)، أيُّ شيء يمنعنا من القتال و قد ألجئنا إليه بأن أخرجنا من أوطاننا و سيبت ذرياتنا، فهذا موجب لكوننا نقاتل و لو لم

---

1 . الآية 23 من سورة المائدة.

2 . الآية 24 من سورة المائدة.

3 . ابن كثير (2 / 38) باختصار.

4 . الآية 246 من سورة المائدة.

يكتب علينا (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا) أي جبنوا عن قتال الأعداء و منعوا عن المصادمة و زال ما كانوا قد عزموا عليه، و استولى على أكثرهم الخور و الجبن (إلا قليلا منهم) فعصمهم الله و ثبتهم و قوَّى قلوبهم فالتزموا أمر الله، ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا شرف الدنيا و الآخرة[1].

تأمل آخر القارئ ما أشبه هذا الموقف من هؤلاء اليهود بموقف أولئك الذين كانوا مع موسى عليه السلام و أبوا الدخول إلى الأرض المقدسة كما سبق بيانه، و هذا مما يدل على أن الجبن من الصفات المتوارثة عندهم و كذا سيأتي بعد ذلك.

ثالثاً: قال الله تعالى: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ)[2]

في هذه الآية خطاب لصحابة النبي صلى الله عليه و سلم يخبرهم الله تعالى عن حالة اليهود النفسية و ما أصابهم من الخوف و الهلع منهم أي من الصحابة فقال تعالى: (لأنتم أشد بهتة في صدورهم من الله) أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً)[3] و لهذا قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ).

ثم قال تعالى: (لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) يعني أنهم من جبنهم و هلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة و المقاتلة بل إما في حصين أو من وراء جدر محاصرين فيها فيقاتلون للدفاع عن أنفسهم ضرورة[4]

---

1 . تفسير السعدي (127) باختصار.

2 . الآية 13 . 14 من سورة الحشر.

3 . الآية 77 من سورة النساء.

4 . تفسير ابن كثير (4 / 2340) باختصار.

قال ابن عاشور: و وجه وصف الرهبة بأنها في صدورهم الإشارة إلى أن تلك الرهبة جِدَّ خفية، أي أنهم يتظاهرون بالاستعداد لحرب المسلمين و يتطاولون بالشجاعة ليرهبهم المسلمون و ماهم بتلك المثابة، فأطلع الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و أصحابه على دخيلتهم.

و لما حصلت البشارة من الخبر عن الرعب الذي في قلوبهم ثُنِّي عنان الكلام إلى منمة هؤلاء الأعداد من جراء كونهم أخوف للناس منهم لله تعالى بأن ذلك من قلة فقه نفوسهم، و لو فقهوا لكانوا أخوف لله منهم للناس، فنظروا فيما يخلصهم من عواقب كفرهم برسول الله صلى الله عليه و سلم في الدنيا و الآخرة[1].

قال القرطبي في تفسيرها: (لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً) أي اليهود إلا في قرى محصنة أي بالحيطان و الدور يظنون أنها تمنعهم منكم (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) أي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم و رهبتهم[2].

فهذه الآيات الثلاث دلت دلالة واضحة على أن اليهود جبناء النفوس ضعاف القلوب ... و ليس هذا بعجيب لأننا قد تحدثنا في البحث الأول من هذا الفصل عن بخل اليهود و حرصهم على الدنيا و حبهم لها فمن كان هذا شأنه فلا بد أن يكون جباناً.

---

1 . التحرير و التنوير (1 / 2 / 95) باختصار.

2 . تفسير القرطبي (19 / 35).

الفصل السادس

عقيدة اليهود الفاسدة وجرائمهم ضد الإنسانية في العصر الحديث

المبحث الأول : بيان عقيدة اليهود الفاسدة التي تسببت في ارتكابهم للجرائم .

المبحث الثاني : جرائم اليهود ضد الإنسانية في العصر الحديث .

المبحث الأول

بيان عقيدة اليهود الفاسدة التي تسببت في ارتكابهم للجرائم

لما كان الهدف من هذا الفصل هو بيان جرائم اليهود التي لا حد حصر لها ولا عد في العصر الحديث أعني مع أوائل القرن العشرين وإلى يومنا هذا ، كان لا بد من بيان ما تنطوي عليه عقولهم من عقائد فاسدة وأفكار منحرفة ، ومبادئ مغلوطة ، إذ من المعلوم أنه ما من سلوك يصدر من إنسان إلا وهو بسبب ما يعتقده من عقائد وما يتبناه من مبادئ صالحة كانت أو فاسدة ،

بناءاً على هذه القاعدة أقول : إن مرادي بالعقيدة الفاسدة الباطلة التي يعتقدها اليهود وبسببها صاروا من أشد الناس إفساداً في الأرض وأعظم البشر إجراماً هي عقيدتهم في أنفسهم أنهم (شعب الله المختار) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فمن هنا أردت بيان بطلان هذه العقيدة من كتبهم أولاً ثم من القرآن الكريم ثانياً ، فأقول ومن الله تعالى أرجو العون والقبول :

أولاً : إبطال عقيدة اليهود في أنفسهم أنهم (شعب الله المختار) من كتبهم :

يقول : الأستاذ معالي عبد الحميد حمودة في مقال له بعنوان (أكذوبة شعب الله المختار) – باختصار –

مصادر أكذوبة شعب الله المختار:

يعتمد اليهود في ترويج الأكذوبة الفاضحة من أنهم شعب الله المختار على عدة نصوص في التوراة المتداولة المحرفة، من المفيد أن نتعرف على تلك النصوص مع توضيح أن البحث العلمي والتاريخي أثبت أن التوراة الموجودة حاليا لا علاقة لها مطلقا بالتوراة الأصلية التي أنزلها الله رب العالمين على موسى بن عمران عليه السلام.

يزعم اليهود أن الله تعالى ميّزهم عن الناس طبقا لما تقوله نصوص التوراة المتداولة المحرفة: (أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب؛ تكونون لي قديسين لأني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي). لاويون 20: 24- 26.

(إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من

سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم، ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم). التثنية 7: 6- 8.

ويؤخذ من النص الأخير أن السبب الرئيسي لجعل اليهود - كما يزعمون - شعب الله المختار هو محبة الله لهم، وسوف نناقش هذه المحبة المزعومة بعد أن نستكمل توضيحا للمصادر التي منحتهم لقب (شعب الله المختار)

المصدر الثاني الذي يرتكز إليه اليهود هو نصوص التلمود:[1]

---

[1]/ يقول ابراهيم الدميجي في مقال له بعنوان : وما أدراك ما التلمود – موقع صيد الفوائد – باختصار –

(هو روايات شفوية تناقلتها الحاخامات حتى جمعها الحاخام يوحناس (أو يهوذا) عام (150م) في كتاب سمّاه المشنا أي تفسير التوراة، ثم زيد في هذا المشنا عام (216م) ثم شرح المشنا في كتاب يسمى جمارا، فمن المشنا والجمارا يتكون التلمود الذي يحتل في نفوس اليهود منزلة تزيد كثيرًا على منزلة التوراة لموافقتها تركيبتهم النفسية الغريبة.

واليهود يقولون: (إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارا فليس له إله!» ولعل هذا التلمود هو ما عناه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن بني إسرائيل كتبوا كتابًا فاتبعوه وتركوا التوراة) رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع (409/1). وقال تعالى في شأن اليهود: "ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل"[آل عمران: 75]. وهذه الآية الكريمة تلخص كثيراً من تعاليم التلمود.

والعجب غفلة بعض الأمة المسلمة عن مقالاتهم الشنيعة, وإحسان الظن بطغاتهم, كذلك مناصرة النصارى لهم والاعتراف بهم وحمايتهم مع هذه البواقع التي تخر لها الجبال هدّاً !

ولمعرفة هذا التلمود الملفق نذكر منه جملًا للاعتبار وننقلها بدون تعليق، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا:

(ندم الله على تركه اليهود في حال التعاسة حتى أنه يبكي ويلطم كل يوم) (إن الله إذا حلف يمينًا غير قانونية احتاج إلى من يُحلّه من يمين)

(قد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل وهو يزأر كالأسد قائلًا: تبًا لي)

(الكنائس المسيحية بمقام قاذورات، والواعظون فيها أشبه بالكلام النابحة)

(كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام, فيجب على اليهود تخريبها)

(القديسون المسيحيون مخنثون, والقديسات المسيحيات مومسات)

(المسيحيون نجسون يشبهون الروث والغائط)

(المسيحيون ليسوا كالبشر بل بهائم وحيوانات)

ولا نملك بعد قراءة تلك العظائم إلا أن نقول: تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، "وما قدروا الله حق قدره" [الروم: 67]، ونزه الله تعالى رسله وأولياءه عن إفك اليهود وافتراءاتهم وبهتانهم.

وبالطبع فالتلمود ليس معدودًا من كتب النصارى, بل لو علموا حقيقته لكان لعقلائهم شأن آخر.

ففي التلمود نقرأ:(الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة..).(اليهودي جزء من الله) - تعالى عما يقولون.

(الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي).

(الشعب المختار هو اليهود فقط، أما باقي الشعوب فهم حيوانات)

هذا ما ذكرته مصادرهم التي يطلق عليها التوراة والنصوص التي نقلنا بعضا منها من كتاب التلمود .

ثم ذكر الأستاذ المذكور مصدراً ثالثاً ثم قال :

ولنناقش هذه النصوص وغيرها لنصل إلى أنهم حقا لا صلة لهم بالله عز وجل؛ فهم لا يعترفون بأي قيم أو مبادئ أو خلق.. وليس لهم حضارة ولا تاريخ مجيد مشرف.. فتأثير اليهود في الحضارة كما قال الأستاذ جوستاف لوبون في كتابه (اليهود في الحضارات الأولى) صفر، وأن اليهود لم يستحقوا بأي وجه من الوجوه - كما قال المؤرخ العالمي - أن يعدوا من الأمم المتمدنة.

فعن نصوص التوراة أثبت الباحث العلمي والتاريخي - خاصة بحوث دائرة المعارف البريطانية، ودائرة المعارف الفرنسية الكبرى - لاروس - أن التوراة الحالية المتداولة لا علاقة ولا ارتباط بينها وبين التوراة التي أنزلها الله عزّ وجل على نبيه موسى عليه السلام.

ومن ثم فإن أول الأسس التي ارتكز إليها اليهود أساس منهار لا قائمة له فلا يؤخذ به مطلقا.

وعن المصدر الثاني - وهو التلمود - فمفهوم أن التلمود كتاب إرهابي وضعه بعض الزعماء من بني إسرائيل القدامى، وضمنوه تعليمات وأوامر بهدف السيطرة على عقول اليهود وغير اليهود، ذلك التلمود وضع هؤلاء الزعماء، ومن ثم فهم أحرار في أن يكتبوا فيه ما يريدون، ولكن ليس من حقهم فرض صحة هذا الكتاب على العالم؛ لأن التلمود كتاب مزعوم مزيف، كما لم يثبت عن موسى عليه السلام مطلقا أنه أوحي إليه التلمود، كما أن التلمود يحوي من المخالفات والفواحش مالا يقبله عاقل، ومن ثم وجب إسقاطه **تماما** من الاعتبار عند الفحص والتقييم.

أين إذن المصادر الشرعية التي تثبت أن بني إسرائيل.. هم شعب الله المختار؟

وهل يمكن لعاقل أن يقول عنهم إنهم شعب الله المختار : وهم سبّوا الأنبياء جميعا سبا لم يحدث من قبل، فهم في توراتهم المتداولة التي كتبوها ألصقوا بالأنبياء الفاحشة كما يلي:

1/ في سفر التكوين الباب 9 من 25/18 قرأنا أن نوحا عليه السلام شرب الخمر ثم سكر، ثم تجرد من ملابسه وأصبح عاريا وبدت عورته لأحد أبنائه.

2/ في الباب الثاني عشر من سفر التكوين من 13/11 أن الخليل نبي الله سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - قيل عنه إنه كذب.

3/ وفي سفر التكوين الباب التاسع عشر من 38/30 قيل عن النبي الجليل سيدنا لوط - عليه السلام - إنه زنى بابنتيه وإن ابنتيه اتفقتا على تقديم الخمر لوالدهما وزنى بعد شربه الخمر بهما.

4/ وفي سفر الخروج الباب الثاني والثلاثين من 6/1 جاء أن هارون عليه السلام دعا بني إسرائيل إلى عبادة العجل.

5/ وفي الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول أن داود كذب كذبا كبيرا، كما قيل إنه أرسل رجلا يدعى (أوريا الحثى) إلى القتال كي يتمكن داود من الزنا بزوجته، وأنه زنى بها كما تقول كتبهم المقدسة.

إلى غير ذلك مما ذكره الكاتب من سبهم للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

وهل يمكن لعاقل أن يقول عنهم إنهم شعب الله المختار: وهم ألصقوا بالله العلي الأكبر صفات لا تليق أن تلصق بالذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا سبحانه ليس كمثله شيء.. قالوا - عليهم اللعنة المتتابعة إلى يوم القيامة - عن الله سبحانه وتعالى: (لبس الله خوذة الخلاص على رأسه) أشعياء 59/ 17.(شعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار) أرميا 9/7. (لباسه أبيض كالثلج) أرميا 7/ 9. (صعد دخان من أنفه ونار في فمه) مزامير مزمور 18/ 9.

هذا بعض صفات النقص التي يلصقونها بالله تعالى.

<u>وهل يمكن لعاقل أن يقول عنهم إنهم شعب الله المختار: والتوراة المحرفة توضح وحشيتهم وسفكهم الدماء، ففي سفر يشوع بعد الاستيلاء على أريحا نقرأ:</u>

(أهلكوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس؛ فإنهم جعلوها في خزانة الرب) .

أوَ نقول عنهم إنهم شعب الله المختار وهم يزعمون - قاتلهم الله - أن يعقوب قام بمصارعة الله، ثم كاد الله تعالى أن ينهزم.. في مكان يسمى (فنئويل) لولا أن الرب أخبره عن شخصيته..

أَو نقول عنهم إنهم شعب الله المختار وهم يزعمون كذبا أن الله تعالى قال لهم :

(إذا ما دخلت مدينة لم يفتك بها أن تقتل سكانها بحد السيف، وأن تستأصلهم، وأن تبيد كل ما يكون في المدينة، وأن تذبح حتى بهائمها)

وبعد.. فهذا شعب الله المختار.. الذي اخترع أكذوبة قائلا إنه شعب الله المختار، ثم ظل يردد الأكذوبة حتى خيل له أنها حقيقة .

ثانياً : إبطال عقيدة اليهود في أنفسهم أنهم (شعب الله المختار) من القرآن :

1/إن نصوص القرآن تشهد باختيار الله عز وجل لبني إسرائيل في زمانهم وتفضيلهم على عالمي زمانهم. والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولكن هذا الاصطفاء والاختيار ليس لجنسهم ولا لونهم، ولكن لكثرة الأنبياء فيهم. فقد قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي. رواه مسلم.

وقال تعالى حكاية عن موسى مخاطباً لهم: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ [المائدة:20]، وقال تعالى:وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [الدخان:32].

ولكنهم كفروا هذه النعمة وتنكروا لما جاءت به الأنبياء فاستحقوا غضب الله عز وجل ولعنته، وضربت عليهم الذلة والمسكنة إلا بحبل من الله وحبل من الناس، ومنهم من مسخهم الله قردة وخنازير ....إلى غيرذلك.

2/ ويقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: **(يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)** سورة البقرة:47 .

يريد على عالمي زمانهم ،ولا شك أنهم قابلوا هذه النعمة العظيمة بالكفران، وكان حالهم مع أنبيائهم كما قال الله تعالى: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ)

[المائدة:70] ، فلما فعلوا ذلك حلت بهم اللعنة والغضب، قال تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) سورة المائدة:78-79.

3/ وقال تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة:60]

جاء في تفسيرها : قل يا محمد – صلى الله عليه وسلم – لهؤلاء اليهود الذين عابوا على المؤمنين إيمانهم بالله وبما أنزله من كتب سماوية والذين قالوا لكم: ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم قل لهم على سبيل التبكيت والتنبيه على ضلالهم : هل أخبركم بشر من أهل ذلك الدين عقوبة عند الله يوم القيامة؟ هو من لَعَنَهُ اللَّهُ أى أبعده من رحمته وَغَضِبَ عَلَيْهِ بأن منع عنه رضاه وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ بأن مسخ بعضهم قردة وبعضهم خنازير وجعل منهم من عبد الطاغوت أى: من عبد كل معبود باطل من دون الله كالأصنام والأوثان وغير ذلك من المعبودات الباطلة التي اتبعوها بسبب طغيانهم وفساد نفوسهم.

وقوله: أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ بيان لسوء عاقبتهم وقبح مكانتهم.. أى: أولئك المتصفون بما ذكر من الفسوق واللعن والطرد من رحمة الله أولئك المتصفون بذلك شَرٌّ مَكاناً من غيرهم وأكثر ضلالا عن طريق الحق المستقيم من سواهم، فهم في الدنيا يشركون بالله، وينتهكون محارمه وفي الآخرة مأواهم النار وبئس القرار.

4/ وقال تعالى (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .

جاء في تفسيرها :

- قوله تعالى : لُعِنَ من اللعن بمعنى الطرد من رحمة الله فالملعون هو المحروم من رحمته- سبحانه- ولطفه وعنايته.

والمعنى: لعن الله- تعالى- الذين كفروا من بنى إسرائيل بأن طردهم من رحمته، على لسان نبيين كريمين هما داود وعيسى- عليهما السلام- وقد جاء الفعل «لعن» بالبناء للمجهول لأن الفاعل معلوم وهو الله- تعالى- ولأن الأنبياء ومنهم داود وعيسى لا يلعنون أحدا إلا بإذن الله- سبحانه- وقوله: مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ في محل نصب على الحال من الذين كفروا أو من فاعل كَفَرُوا وهو واو الجماعة.

وقوله: عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ متعلق بلعن. أى: لعنهم- سبحانه- في الزبور والإنجيل على لسان هذين النبيين الكريمين اللذين كان أولهما- بجانب منصب الرسالة- قائدا مظفرا قادهم إلى النصر بعد الهزيمة. وكان ثانيهما وهو عيسى- عليه السلام- رسولا مسالما جاءهم ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم.

قال الآلوسى: (لعنهم الله- تعالى- في الزبور والإنجيل على لسان داود وعيسى ابن مريم بأن أنزل في هذين الكتابين «ملعون من يكفر من بنى إسرائيل بالله أو بأحد من رسله).

وقيل: إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داود: اللهم ألبسهم اللعن مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة.

وأصحاب المائدة لما كفروا بعيسى قال: اللهم عذب من كفر من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت.«

وقوله: ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ بيان لسبب لعنهم وطردهم من رحمة الله.

أقول : لقد اتضح بما يدع مجالاً للشك من خلال ما تقدم أن اليهود أهم ألعن من خلق الله تعالى لا لجنسهم أو قبائلهم وإنما لكفرهم وجرائمهم وقبيح فعائلهم .

المبحث الثاني

جرائم اليهود ضد الإنسانية في العصر الحديث

قال الأستاذ محمد الغباشي - مقال بعنوان دموية اليهود ليست جديدة – موقع من كتبة صيد الفوائد :

إلقاء نظرة على أهم المجازر الوحشية التي قام بها الكيان الصهيوني إزاء المسلمين في فلسطين ومصر ولبنان وسوريا، وما جاور ذلك من بلاد المسلمين، والتي مات فيها مئات الآلاف من البشر بطرق تتقزز من هولها الأنفس السوية.

منذ قيام دولة إسرائيل على أشلاء الجيوش العربية التي انهزمت عام 1948م، أعلن رئيس وزرائها بن جوريون أن الوضع في فلسطين سيسوى بالقوة العسكرية، هكذا بكل تبجح وتجاهل لمقدرات المسلمين والعرب في فلسطين والدول الإسلامية، ومن حينها، بل وقبل ذلك بسنوات، بدأت المجازر المنظمة من قبل العصابات الصهيونية والجيش الإسرائيلي ضد أهالي القرى الفلسطينية لحملهم على الرحيل، للترويج لمقولة: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وقد تشكلت بعد اصطدامات وقعت في العام 1921م بين العرب واليهود عصابة يهودية سرية تدعي الهاجاناه وفي السنوات اللاحقة أصبحت هذه العصابة جيشًا عدائيًا أكثر وأكثر، كما تم إعطاؤها بعض الاعتراف الرسمي من قبل الإدارة البريطانية وتشكل منها شرطة تحت قيادة بريطانية.

وفي العام 1937م تشكلت ميليشيا أكثر سرية تمثل حزب الإحياء ضمن المنظمة الصهيونية العالمية وهي الآرجون (المنظمة العسكرية القومية) التي تعاونت مع الهاجانا، وشكلتا مع عصابة ثالثة فيما بعد تسمى شتيرن جيش الدفاع الإسرائيلي، فجيش هذه الدولة المحتلة المتغطرسة هو في الأصل عصابات صهيونية كانت تتغذى على دماء المسلمين من العرب والفلسطينيين.

وفيما يلي استعراض لأهم المجازر التي ارتكبتها إسرائيل خلال هذه الفترة :

1/ **مذبحة كفر حسينية في 13 مارس 1948**، حيث قامت الهاجاناة بالهجوم على القرية وتدميرها، ما أسفر عن استشهاد ثلاثين شخصًا، كما اقترفت في السابع والعشرين من الشهر نفسه مذبحتين في الموضع ذاته أسفرتا عن استشهاد أربعة وستين شخصًا وجرح أكثر من مائة وعشرين آخرين.

2/ **مذبحة دير ياسين في التاسع من أبريل سنة** 1948م، ارتكبتها عصابتا الآرجون وشتيرن، وقد راح ضحيتها زهاء 260 شخصًا من أهالي القرية العزل، وبعد الاستيلاء على القرية قامت باقتراف شتى أنواع التنكيل ضد الشعب الفلسطيني، حيث أوقفوا العشرات من أهالي القرية صوب الحائط وأطلقوا النار عليهم، كما قامت القوات الصهيونية بعمليات تشويه ضد بعض الأشخاص، وألقت بنحو 53 من الأطفال الأحياء وراء سور المدينة القديمة.

3/ **مذبحة ناصر الدين في 14 أبريل 1948** حينما فتحت قوات من الوحدات العسكرية الصهيونية السرية أو ما يسمى بـ"المستعربين" نيران أسلحتها على أهالي القرية المدمرة بالكامل، حيث لم ينجُ منهم سوى 40 شخصًا استطاعوا الفرار إلى القرية المجاورة. وفي أوائل يوليو اقترفت قوات البالماخ مذبحة أخرى في اللد وأسفرت عن استشهاد 250 فلسطينيًا.

4/ **مذبحة قلقيلية في 10 أكتوبر عام 1953م** أسفرت عن استشهاد نحو 70 من السكان ومن أهل القرى المجاورة الذين هبوا للنجدة، وفي الخامس عشر من الشهر ذاته أغار جنود تابعون للجيش الإسرائيلي بقيادة أرئيل شارون على قرية قبية التي تقع شمال القدس تحت إدارة الأردن، وقصفوها بصورة مركزة، كما قامت عناصر أخرى بتدمير عدد من منازل الفلسطينيين على من فيها، وقد أسفرت المذبحة عن سقوط 69 شهيدًا منهم نساء وأطفال وشيوخ، ونسف 41 منزلاً ومسجدًا، بينما أبيدت أسر بكاملها.

5/ **قامت قوة من الجيش الإسرائيلي في 29 مارس 1954** بالتوغل في أراضي الضفة الغربية حتى وصلت إلى قرية مخالين بالقرب من بيت لحم، حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات السكان، وثبتت الألغام في بيوت القرية، وأسفرت المذبحة عن استشهاد 14 شخصًا وجرح 14 آخرين.

6/ **مذبحة قطاع غزة في الثاني من فبراير 1955** ذهب ضحيتها 39 شهيدًا و33 جريحًا. وفي الرابع والخامس من أبريل من عام 1956 قصفت مدافع الجيش الإسرائيلي مدينة غزة حيث استشهد 56 شخصًا وجرح 103 آخرون. وفي الثلاثين من مايو من العام ذاته اقترفت القوات الصهيونية مذبحة أخرى في مدينة خان

يونس ذهب ضحيتها 20 شهيدًا وجرح 20 آخرون أعقبته بعدوان آخر في الأول من سبتمبر استشهد جراؤه 46 شخصًا وجرح 50 آخرون.

7/ مذبحة كفر قاسم في 29 أكتوبر 1956 ذهب ضحيتها 67 شهيدًا و143 جريحًا جميعهم من المدنيين، وفي الثالث من نوفمبر من العام نفسه وقعت مذبحة خان يونس الثالثة أثناء احتلال الجيش الصهيوني لها أسفرت عن استشهاد نحو 275 شهيدًا، كما اقترف الجيش مذبحة رفح في الثاني عشر من الشهر ذاته أسفرت عن استشهاد نحو 111 فلسطينيًا.

8/ قصفت القوات الإسرائيلية في 16 - 17 مارس 1962 قرية النقيب السورية وقتلت 30 شخصًا.

9/ وفي 13 نوفمبر 1966 شنت القوات الإسرائيلية هجومًا على قرية السموع في منطقة جبال الخليل فنسفت 125 منزلاً وبناية بينها مدرسة وعيادة طبية ومسجد، كما قامت في يونيو بهدم 144 منزلاً وقتل 23 فلسطينيًا من المخيم نفسه.

10/ أغارت القوات الإسرائيلية في 12 فبراير 1970 على مصنع أبي زعبل بمصر، ما أسفر عن استشهاد 70 عاملاً وإصابة 69 آخرين عدا عن حرق المصنع نفسه، وفي الثامن من أبريل من العام نفسه قامت الطائرات الإسرائيلية بالهجوم على مدرسة صغيرة لأطفال الفلاحين في قرية بحر البقر المصرية حيث راح ضحيتها 19 طفلاً وجرح 60 آخرون.

11/ **مذبحة صيدا** وقعت في 16 يونيو 1982 إبان العدوان الإسرائيلي على لبنان هذ المذبحة ذهب ضحيتها حوالي 80 مدنيًا ممن كانوا يحتمون بالملاجئ، وفي السادس والثامن عشر من سبتمبر من العام نفسه وقعت مذبحة صبرا وشاتيلا بعد دخول القوات الإسرائيلية بقيادة شارون إلى بيروت، وإحكام السيطرة على القطاع الغربي منها، وقد أسفرت عن استشهاد 1500 شهيد من الفلسطينيين واللبنانيين العزل.

12/ مذبحة عين الحلوة التي نفذتها قوات الجيش الإسرائيلي في 16 مايو 1984 عشية الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، والتي أسفرت عن سقوط 15 فلسطينيًا بين قتيل وجريح عدا عن تدمير 140 منزلاً واعتقال 150 شخصًا. وفي 20 سبتمبر من العام نفسه داهمت القوات الإسرائيلية قرية سحمر الواقعة جنوب لبنان وقتلت نحو 13 شهيدًا و40 جريحًا.

13/ شنت الطائرات الإسرائيلية في 11 أكتوبر 1985 غارة على منطقة حمامات الشط جنوبي العاصمة التونسية لضرب مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية، وقد أسفرت عن سقوط 50 شهيدًا و100 جريح من السكان المدنيين من تلك المنطقة.

14/ تجسد العنف الصهيوني في التدابير والممارسات التي اقترفتها القوات الإسرائيلية من أجل قمع الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت في ديسمبر 1987 والتي أسفرت عن سقوط ألف شهيد ونحو 90 ألف جريح و15 ألف معتقل، فضلاً عن تدمير ونسف 1228 منزلاً واقتلاع 140 شجرة من الحقول والمزارع. كما تجسد مجددًا في انتفاضة الأقصى عام 2000 التي أسفرت عن استشهاد أكثر من 4500 فلسطيني واعتقال نحو 9000 أسير في سجون الاحتلال.

15/ في 25 فبراير عام 1994 سمحت القوات الإسرائيلية التي تقوم على حراسة الحرم الإبراهيمي الشريف بدخول المستوطن اليهودي باروخ جولدشتاين من حركة كاخ العنصرية إلى الحرم وهو يحمل بندقية أوتوماتيكية، حيث شرع في قتل المصلين؛ ما أسفر عن استشهاد 60 فلسطينيًا وإصابة عشرات آخرين، كما قتلت قوات الاحتلال 53 شهيدًا من المتظاهرين.

16/ في 28 من أبريل من عام 1996 وقعت مذبحة قانا التي كانت جزءًا من عملية كبيرة سميت "بعناقيد الغضب" حينما قامت قوات الاحتلال بضرب موقع قانا الذي كان يضم 800 لبناني، وأسفر ذلك عن مقتل 250 لبنانيًا منهم 110 في قانا وحدها، فيما بلغ عدد الجرحى 368 بينهم 359 مدنيًا. وقد أقدمت تلك القوات على عدوان مماثل طال ذات المكان وأسفر عن استشهاد 57 لبنانيًا في إطار حرب إسرائيلية على لبنان دخلت أسبوعها الثالث على التوالي.

17/ وفي ديسمبر 2008، ويناير 2009 أقدمت القوات الصهيونية على مذبحة جديدة عندما قصفت قطاع غزة، الأمر الذي أسفر عن حوالي 1500 شهيد ونحو 5500 جريح غالبيتهم من الفلسطينيين العزل.

الخاتمة

1/ من خلال الفصول السايقة تبين أن لبني إسرائيل تاريخاً طويلاً في نقض العهود والمواثيق، وفي المخالفة عن أوامر الله تعالى وتعدي حدوده، وفي قتل الأنبياء والرسل والذين يأمرون بالقسط من الناس.

2/ تبين أيضاً أن القرآن الكريم استعرض كثيراً من أفعالهم الشنيعة وإجرامهم مع أنبيائهم ورسلهم، وسلط الضوء على مواقفهم المنحرفة إزاء نعم الله تعالى عليهم التي لا تحصى، والتي من جملتها اختياره لهم على عالم زمانهم، وتفضيلهم عليه بأن جعل منهم الأنبياء وجعلهم ملوكاً، كما قال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام يذكرهم بتلك الآلاء والأنعام: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذا جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين) [المائدة: 20] وما زال القرآن يذكرهم بتلك النعم، ويطالبهم بالوفاء بعهد الله وميثاقه في إيمانهم بخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم الذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لكن أبى منبت العيدان أن يتغيرا. إن طباع اليهود لا تعرف الوفاء وإنما تعرف الغدر والانحراف والالتواء.

3/ ولاحظنا أن القرآن الكريم خاطب اليهود في عصر النبوة بما فعل آباؤهم وأجدادهم كأنهم هم الذين ارتكبوا ما ارتكب أولئك مما يدل على أن لليهود طبيعة واحدة لا تتغير ولا تتبدل، فهم هم في كل عهد وفي كل مصر، فبدل أن يوفوا بعهدهم ويستجيبوا إلى ربهم ويتبعوا الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، كفروا وتولوا وكادوا له أشد الكيد وأخبثه، ونكثوا عهودهم معه، وقد سجل عليهم القرآن الكريم استهتارهم بدينهم، مما حملهم على تبديل كتاب ربهم وتحريفه ابتغاء منافع دنيوية ومكاسب تافهة، فيقول الله عنهم: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) [البقرة: 79.[

4/ كما سجل عليهم من السفاهة والوقاحة ما لم يسبقهم إليه أحد، حتى لقد بلغوا في ذلك أن وصفوا ربهم الذي خلقهم بالبخل . قاتلهم الله . كما قال تعالى حاكياً عنهم: (وقالت اليهود يد الله مغلولة) [المائدة: 64]. ووصفوه بالفقر. تعالى عما

يقولون علوا كبيراً . كما قال: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) [آل عمران: 181 .[

واعتناء القرآن الكريم بالكشف عن طبيعة اليهود وجبلتهم، واهتمامه بإلقاء الضوء على أخلاقهم وأفعالهم، فيه توجيه للمسلمين وتحذير لهم بأن لا ينخدعوا بمعسول القول من اليهود ولا يغتروا منهم بمواثيق ولا عهود، فعهودهم كلها إلى النقض صايرة، ومواثيقهم إلى النكث آيلة كما قال عنهم سبحانه: (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم) [البقرة: 100]

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله تعالى على نبيه ومصطفاه محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أهم المراجع

1 -جامع البيان عن تأويل أي القرآن - للطبري .
2- معالم التنزيل للبغوي .
3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .
4- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري .
5- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي .
6- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن – الشنقيطي .
7- التحرير والتنوير - للطاهر ابن عاشور .
8- التفسير الكبير – للفخر الرازي .
9- لباب التأويل - للخازن .
10- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – للسعدي .
11- اليهود في القرآن والسنة المطهرة - د. محمد اديب الصالح .
12- بنوا إسرئيل في القرآن والسنة – د . محمد سيد طنطاوي .
13- اليهود في القرآن الكريم – للشيخ صلاح أبو إسماعيل .
14- الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة .
15- الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية .
17/ الإيمان – محمد نعيم يس .
19/ تسهيل الوصول إلى أسباب النزول .
20/ فتح الباري بشرح صحيح البخاري – لابن حجر العسقلاني .
* ومن كتب السنة والسيرة النبوية :
21/ صحيح البخاري .
22/ صحيح مسلم .
23/ سنن أبي داود .
24/ سنن النسائي .
25/السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة – تأليف د/ محمد بن محمد أبو شهبة .

الفهارس

م	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة	3
2	تمهيد: في تعريف باليهود و بيان نبذة عن تاريخهم و فرقهم الدينية	6
3	الفصل الأول :أخلاق اليهود في تعاملهم مع الله تعالى كما هي في القرآن الكريم و السنة	11
4	المبحث الأول: نقض اليهود للمواثيق و العهود	13
5	المبحث الثاني : شرك اليهود بالله وعبادتهم للعجل من دون الله تعالى	18
6	المبحث الثالث :جحود اليهود للنعم التي أنعم الله بها عليهم .	24
7	المبحث الرابع :اتهام اليهود لله تعالى بالبخل و الفقر	34
8	المبحث الخامس :تحايل اليهود على استحلال ما حرم الله عليهم	38
9	الفصل الثاني : أخلاق اليهود في تعاملهم مع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.	41
10	المبحث الأول: اليهود قتلة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.	42
11	المبحث الثاني: اليهود يكذبون الأنبياء عليهم الصلاة و السلام	46
12	المبحث الثالث: اليهود يؤذون الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و يستهزؤون بهم.	50
13	الفصل الثالث :أخلاق اليهود في تعاملهم مع الملائكة والكتب السماوية	57
14	المبحث الأول : عداوة اليهود لجبريل عليه السلام	58
15	المبحث الثاني : تحريف اليهود للتوراة	60
16	المبحث الثالث : إنكار اليهود الكتب السماوية	65
17	المبحث الرابع: أخلاق اليهود مع القرآن الكريم و كيفية تعاملهم معه	67
18	الفصل الرابع :أخلاق اليهود في تعاملهم مع المؤمنين كما هي في القرآن والسنة المطهرة	74
19	المبحث الأول: أخلاق اليهود مع المؤمنين ما بين زماني يوسف وعيسى عليهما السلام.	75
20	المبحث الثاني: أخلاق اليهود مع المؤمنين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم.	80
21	الفصل الخامس : طائفة من أخلاق اليهود النفسية .	86
22	المبحث الأول: البخل والجشع.	87
23	المبحث الثاني: الحسد والحقد.	92
24	المبحث الثالث: النفاق والمداهنة.	95
25	المبحث الرابع: التكبر والغرور.	98
26	المبحث الخامس: الجبن من مقاتلة أعداء.	102

28	الفصل السادس:عقيدة اليهود الفاسدة وجرائمهم ضد الإنسانية في العصر الحديث	106
29	المبحث الأول : بيان عقيدة اليهود الفاسدة التي تسببت في ارتكابهم للجرائم .	107
30	المبحث الثاني : جرائم اليهود ضد الإنسانية في العصر الحديث .	114
31	الخاتمة	118